كتابُ الرِّقاقِ

ويقال: الرقائق، سمِّيت هذه الأحاديثِ بذلك لأنَّها تُحدِثُ في القَلْبِ رقَّةً بسبب ما اشتملت عليه من الوَعْدِ والوعيد والدعوة إلى الزهد، والتجافي عن الدار الفانية.

وقد صنَّف بعضُ أهل العلم كتباً مفردةً في الزهد والرقائق، كعبد الله بن المبارك، والإمام أحمد بن حنبل، ومن الكتب النافعة في هذا الباب: «طريق الهجرتين» لابن القيم، و«الحدائق» لابن الجوزي، و«الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا، ومثله لابن قدامة المقدسي، و«الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري.

٣٨٤٧- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٢٣٤٠)، والبخاري (٦٤١٢)، والترمذي (٢٣٠٥).

و«الغُبْنُ»: الخسارة وهو شراءُ الشيء بأضعافِ ثمنه، فمن صحَّ بدنُه وتفرَّغ عن الأشغالِ العائقة ولم يَسْعَ لصلاح آخرته، فهو كالمغبون في البيع. والمعنى: أنَّ غالبَ الناسِ لا ينتفعون بالصحةِ والفراغ، بل يصرفونهما في غير محلهما.

٣٨٤٨- عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُون الأوْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ».

هذا حديثٌ مرسلٌ، أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» ١٤٨/٤ ولكنه صحَّ موصولاً من حديث ابن عباس عند الحاكم ٣٠٦/٤.

٣٨٤٩- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «مَا يَنْتَظِرُ أحَدُكُمْ إلَّا غِنىً مُطْغِياً، أوْ فَقْراً مُنْسِياً، أوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أوِ الدَّجَّالَ، فَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، وَالسَّاعَةُ أدْهَىٰ وَأمَرُّ، وَقَالَ غَيرُهُ: أوِ السَّاعَةَ، وَالسَّاعَةُ أدْهَىٰ وَأمَرُّ».

أخرجه الحاكم ٤/ ٣٢٠، ٣٢١ وإسناده ضعيف لانقطاعه.

ورُوي عن محرر بن هارون، عن عبد الرحمٰن الأعرج، عن أبي هريرة متصلاً. أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) ومحرَّرُ بن هارون العبدي متروك.

قوله: هَرَماً مُفنّداً، أي: مُضْعِفاً مُعجزاً، يُقال: أفنَد الرجُلُ: إذا كثر كلامه من الكبر، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لولا أن تُفنِّدونِ﴾ [يوسف: ٩٤] أي: تُخرِّفوني، وتقولون لي: قد خَرِفتَ.

وقال الحسن: أدركتُ أقواماً كل أحدهم أشحُّ على عمره منه على درهمه.

باب

مَثَل الدنيا والآخرة

قالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

٣٨٥٠- عن المُسْتَوْرِد بْن شَدَّادٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ».

أخرجه مسلم (٢٨٥٨)، وأبن ماجه (٤١٠٨)، والترمذي (٢٣٢٤).

«اليَمُّ»: البَحْرُ. والمعنى: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرةِ في قِصَرِ مُدَّتها، وفناءِ لذَّاتها، ودوامِ الآخرة، وبقاءِ لذَّاتها ونعيمها، إلَّا كنسبة الماءِ الذي يَعْلَقُ بالأصبع إلى باقي البحرِ.

٣٨٥١- عَنِ المُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ أَحَدِ بَنِي فِهْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ هٰذِهِ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ».

هذا حديث صحيح، انظر ما قبله.

بابُ

هوانِ الدنيا على الله سبحانه وتعالى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الحَيَاةُ الدنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَوْلَا أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً

وَاحِدَةً﴾ الآية [الزخرف: ٣٣]: أيْ: لَوْلَا أنْ أجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ كُفَّاراً، لَجَعَلْتُ لِبُيُوتِ ٱلْكُفَّارِ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ مِنْ فِضَّةٍ.

٣٨٥٢- عَنْ المُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ أحَدِ بَنِي فِهْرٍ قَالَ: كُنْتُ فِي الرَّكْبِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلىٰ السَّخْلَةِ الْمَيْتَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أتَرَوْنَ هٰذِهِ هَانَتْ عَلىٰ أهْلِهَا حِينَ ألْقَوْهَا؟» قَالُوا: مِنْ هَوَانِهَا ألْقَوْهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فالدنْيَا أهْوَنُ عَلىٰ اللهِ مِنْ هٰذِهِ عَلىٰ أهْلِهَا».

صحيح لغيره، أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وأحمد (١٨٠١٣).

وقد أخرجه مسلم (٢٩٥٧) من رواية جابر بن عبد الله.

٣٨٥٣- عن عثمان بن عبيد الله بن رافع أنَّ رَجُلاً مِنْ أصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدَّثُوهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا عِنْدَ اللهِ فِي الخَيْرِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مَا أعْطَىٰ مِنْهَا كَافِراً شَيْئاً».

٣٨٥٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقىٰ كَافِراً مِنْهَا قَطْرَةَ مَاءٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ بطرقه وشواهده، أخرجه ابن ماجه (٤١١٠)، والترمذي (٢٣٢٠) وغيرهما وله شاهد من حديث ابن عمر بن الخطيب ٤/ ٩٢، وإسناده صحيح.

وقال أبو الدرداء: الدنيا ملعونةٌ وملعونٌ ما فيها إلا ذكرَ الله وما أوى إليه، والعالم والمتعلِّمُ في الأجر شريكان، وسائر الناس همجٌ لا خير فيهم.

٣٨٥٥- عَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ ضَمْرَةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلَّا ذِكْرَ اللهِ أوْ مُعَلِّماً أوْ مُتَعَلِّماً» وَيُرْوَىٰ عَنْ عَبْدِ اللهِ

اَبْنِ ضَمْرَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً».

أخرجه الترمذي (٢٣٢٢) في الزهد، وابن ماجه (٤١١٢)، ولا بأس بإسناده، وله شاهد من حديث جابر عند أبي نعيم في «الحلية» ٣/ ١٥٧ و٧/ ٩٠، وصححه الضياء في «المختارة»، وآخر من حديث ابن مسعود عند البزار، يتقوى بهما الحديث، فيكون حسناً كما قال الترمذي.

بابُ

قِصَرِ الأمل

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَتَاعُ الغُرُورِ: مَا يُلْهِيكَ عَنْ طَلَبِ الآخِرَةِ، وَمَا لَمْ يُلْهِكَ، فَلَيْسَ بِمَتاعِ الغُرُورِ، ولكِنَّهُ مَتَاعُ بَلَاغٍ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.

٣٨٥٦- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَقَال: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَداً.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤١٦)، وابن حبان (٦٩٨) وفيه تمام تخريجه.

وقد شرحه باستيعاب بالغ الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» ٢/٣٧٦ فقال: هذا الحديثُ أصلٌ في قِصَرِ الأملِ في الدنيا، وأنَّ المؤمنَ لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئنَّ فيها، ولكن ينبغي أن يكونَ فيها كأنه على جناحِ سفرٍ: يُـهَيِّىء جهازه للرحيل. فهو ينزلُ نَفْسَه كأنه غريبٌ في الدنيا، فهو غير متعلِّق القلب ببلد الغربة، بل قلبُه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه، ومن كان في الدنيا كذلك، فلا همَّ له إلَّا في التزود بما ينفعه عند عَوْده إلى وطنه، فلا ينافس أهْلَ البلد الذي هو غريبٌ عنهم في عزهم، كما قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب، لا يجزع من ذلّها، ولا ينافس في عِزِّها، له شأن وللناسِ شأن.

٣٨٥٧- عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: مَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا وَأُمِّي نُطَيِّنُ شَيْئاً، فَقَالَ: «مَا هٰذَا يَا عَبْدَ اللهِ؟» قُلْتُ: شَيْءٌ نُصْلِحُهُ، قَالَ: «الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ».

أخرجه أحمد (٦٥٠٢)، وأبو داود (٥٢٣٦) بإسنادٍ صحيح، وتمامُ تخريجه في «المسند».

قوله: «نُطيِّنُ شيئاً»: وقع عند أبي داود: «حائطاً» وعند أحمد: «خُصّاً» وهو بَيْتٌ يكون من قَصَب.

٣٨٥٨- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ يُهْرِيقُ المَاءَ، فَيَتَيَمَّمُ بِالتُّرَابِ، فَأَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ المَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ، فَيَقُولُ: «مَا يُدْرِينِي لَعَلِّي لَا أَبْلُغُهُ».

أخرجه ٱبنُ المبارك في «الزهد» (٢٩٢)، وأحمد (٢٦١٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٧) وإسناده حسن.

٣٨٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِىءٍ، أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٤١٩).

«أعذر» أي: لم يُبْق له مجالاً للاعتذار بعد هذا العمر الطويل.

وسئل مالك عن الزُهد في الدنيا؟ قال: طيبُ الكَسْبِ، وقِصَرُ الأملِ.

بابُ

التَّجافي عن الدنيا

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. قَالَ مُجَاهِدٌ: الغَرُورُ: الشَّيْطَانُ. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١]. وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: كَانَ أَبِي إِذَا دَخَلَ عَلى مَنْ يَرَى عِنْدَهُ شَيْئاً مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا أَسْرَعَ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَقَامَ بِالبَابِ، فَنَادَى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، ثُمَّ يُنَادِي: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، فَيَقُومُونَ، فَيُصَلُّونَ أَجْمَعُونَ. وَأَرادَ اتِّبَاعَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾.

٣٨٦٠- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ» قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِي يَا نَبيَّ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ. قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ وَلكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظِ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ المَوْتَ والبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاء».

أخرجه أحمد (٣٦٧١)، والترمذي (٢٤٥٨) في صفة القيامة، والحاكم ٤/ ٣٢٣، وإسناده ضعيف لضعف الصباح بن محمد. وانظر تمام الكلام عليه في «المسند».

قوله: «فليحفظِ الرأسَ وما وعى» فالوعيُ: الحفظُ، قلتُ: يريد - واللهُ أعلمُ - ما يحفظه الرأس من السمع والبصر واللسان حتى لا يستعملها إلا فيما يحِلُّ.

وقوله: «والبطن وما حوى» أي: ما جَمعَ، يعني: لا يَجمعُ فيه إلا الحلالَ، ولا يأكل إلا الطيب. ويروى: «ولا تنسَوا الجوفَ وما وَعَى، والرأسَ وما احتوى» قيل: أراد بالجوف البطن والفرجَ كما جاء في الحديث «أكثر ما يُدخِلُ أمتي النارَ الأجوفانِ» أخرجه أحمد (٧٩٠٧) بسندٍ حسن، وصححه ابن حبان (٤٧٦)، وقيل: أراد به القلبَ وما وَعَى من معرفة الله سبحانه وتعالى، والعلمِ بالحلال والحرامِ أنْ لا يُضيِّع ذلك. وأراد «بالرأس وما احتوى» الدِّماغَ، وإنما خص القلب والدماغ، لأنهما مجمعا العقل.

٣٨٦١- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَامَ عَلى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَبْسُطَ لَكَ وَنَعْمَلَ، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد (٣٧٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩).

٣٨٦٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ، فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا».

هذا حديث ضعيفُ الإسناد، أخرجه الطيالسي (٣٧٩)، وأحمد (٣٥٧٩)، والترمذي (٢٣٢٨)، وتمام تخريجه في «المسند».

و«الضَّيْعَةُ»: حِرْفَةُ الرجل ومِهْنَتُه وطريقة كَسْبه. والمرادُ بالنهي عن ذلك هو التوسُّعُ في جَلْبِ حُطامِ الدنيا وإهمال الواجبات الشرعية المطلوبة، وأما الاحترافُ الذي يُفيدُ المحترف والمجتمع فهذا مطلوبٌ وقد حثَّ عليه الشرع.

٣٨٦٣- عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ المَالَ، وَأَكُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَلَكِنْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ: سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِنَ السَّاجِدِين، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ».

هذا مرسلٌ.

٣٨٦٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، قَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».

أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٩٧٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٤٣)، وإسناده ضعيف، وروي عن مجاهد مرسلاً بإسناد جيد عند أبي نعيم في «الحلية» ٨/ ٤١-٤٢.

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ الله تعالى يُحِبُّ الزاهدين في الدنيا وهو كما قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٢٠٣: شعارُ أنبياءِ الله وأوليائه وأحبائه. ودلَّ أيضاً على أنَّ الزهد فيما في أيدي الناسِ موجبٌ لمحبة الناس. قال الحسن البصري: لا تزالُ كريماً على الناسِ ما لم تعاطَ ما في أيديهم، فإذا فَعَلْتَ ذلك استخفُّوا بك، وكرهوا حديثك، وأبغضوك. وانظر شرح ابن رجب لهذا الحديث فإنه فائق مُحَرَّر.

٣٨٦٥- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَته، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ، أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلى مَا يَفْنَى».

حسن لغيره، أخرجه أحمد (١٩٦٩٧)، وابن حبان (٧٠٩) وإسناده ضعيف لانقطاعه، لٰكن له شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن أبي عاصم في «الزهد» (١٦١)، وإسناده حسن.

٣٨٦٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً بَعْدَ العَصْرِ، فَصَلَّى العَصْرَ يَوْمَئِذٍ بِنَهَارٍ، فَمَا تَرَكَ شَيْئاً إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، حَفِظَ مَنْ حَفِظَ وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ، ثُمَّ قَالَ: «ألا إِنَّ هذِهِ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ».

أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

وَذَكَرَ أَنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ فِي الدنْيَا، وَلَا غَدْرَ أَكْثَرُ مِنْ غَدْرِ أَمِيرِ العَامَّةِ، يُغْرَزُ لِوَاؤُهُ عِنْدَ استِهِ.

أخرجه مسلم (١٧٣٨).

قَالَ: «وَلَا يَمْنَعَنَّ أَحَداً مِنْكُمْ إِنْ رَأَى مُنْكَراً أَنْ يُغَيِّرَهُ هَيْبَةُ النَّاسُ» فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ وَقَالَ: قَدْ رَأَيْنَاهُ فَمَنَعَنَا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ نتكَلَّمَ فِيهِ.

أخرجه أحمد (١١٠١٧)، وإسناده صحيح وصححه ابن حبان (٧٣٦٨).

ثُمَّ قَالَ: «وَإِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلى طَبَقَاتٍ شَتَّى، فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِناً، وَيَحْيَا مُؤْمِناً، وَيَمُوتُ كَافِراً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِراً وَيَحْيَا

كَافِراً، وَيَمُوتُ مُؤْمِناً» قَالَ: وَذَكَرَ الغَضَبَ «فَمِنْكُمْ مَنْ يَكُونُ سَرِيعَ الغَضَبِ، سَرِيعَ الفَيْءِ، وَإِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، ومِنكُمْ مَنْ يكونُ بَطِيءَ الغَضَبِ بَطِيءَ الفَيْءِ، فإحْداهُما بالأُخْرَى، وَخِيَارُكُمْ مَنْ يَكُونُ بَطِيْءَ الغَضَبِ سَرِيعَ الفَيْءِ، وَشِرَارُكُمْ مَنْ يَكُونُ سَرِيعَ الغَضَبِ، بَطِيءَ الفَيْءِ»، وَقَالَ: «اتَّقُوا الغَضَبَ فَإِنَّهُ جَمْرَةٌ عَلى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، فَمَنْ أَحَسَّ ذَلِكَ، فَلْيَضْطَجِعْ، وَلِيَتَلَبَّدْ بِالأَرْضِ» قَالَ: وَذَكَرَ الدَّيْنَ، فَقَالَ: «مِنْكُمْ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ القَضَاءِ، وَإِذَا كَانَ لَهُ، أَفْحَشَ فِي الطَّلَبِ، فَإِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سَيِّءَ القَضَاءِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ، فَإِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، وَخِيَارُكُمْ مَنْ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ، أَحْسَنَ القَضَاءَ، وَإِذَا كَانَ لَهُ، أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ، وَشِرَارُكُمْ مَنْ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ، أَسَاءَ القَضَاءَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَفْحَشَ فِي الطَّلَبِ» حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ عَلى رَأْسِ النَّخْلِ وَأَطْرَافِ الحِيْطَانِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هٰذَا أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ تُوفِي سَبْعِينَ أُمَّةً هِيَ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

أخرجه أحمد (١١١٤٣)، والترمذي (٢١٩١) وفي سنده ضعف لضعف علي ابن زيد بن جُدْعان، ولأكثره طرق وشواهد يتقوَّى بها، انظرها في «المسند».

قوله: «تُوفي سبعين أمةً» أي: هي تمامُ سبعينَ تمَّ بهم عددُ السَّبعين.

وأخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطَّاهريُّ، أخبرنا جدِّي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزَّاز، أخبرنا محمد بن زكريا العُذافِريُّ، أخبرنا إسحاق الدَّبَرِيُّ، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعمر، عن علي بن زَيدِ بن جُدعان بإسناده مثلَ معناه، وقال:

«إنَّ الناس خُلِقوا على طبقاتٍ، فيولد الرجلُ مؤمناً، ويعيش مؤمناً، ويموت مؤمناً، ويولد الرجُلُ كافراً، ويعيش كافر، ويموتُ كافراً، ويولد الرجُلُ مؤمناً، ويعيش مؤمناً، ويموت كافراً، ويولد الرجُلُ كافراً، ويعيش كافراً، ويموت مؤمناً، ثم قال في حديثه: «وما شيءٌ أفضلَ من كلمة عدلٍ تقالُ عند سُلطان جائرٍ» قال: «وإنكم تُتِمُّون سبعين أمَّةً أنتم آخرها وأكرمها على الله».

قال عبد الله بن مسعود: أنتم اليومَ أكثرُ صلاةً، وأشدُّ عبادة من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانوا خيراً منكم، قيل: لِمَ؟ قال: كانوا أزهدَ في الدنيا، وأرغبَ في الآخرة منكم.

وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: ارتحلتِ الدنيا مُدْبِرةً، وارتحلتِ الآخرة مقبلةً، ولكلٍّ واحدٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليومَ عملٌ ولا حسابَ وغداً حسابٌ ولا عمل.

قال يحيى بن المتوكل: كنتُ أمشي مع سفيان الثوريّ، فمررتُ برجُل يبني بناءً قد شيّده، فقال لي: لا تنظرْ إليه، إنما بناه لينظرَ إليه.

بابُ

القناعة بالقليل من الدنيا

٣٨٦٧- عن همَّام عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

العَرَضُ - بفتحِ الرَّاء - متاع الدنيا وحُطامُها، وجمعُهُ أعراضٌ. والعَرْضُ - ساكِنةُ الراء - واحد العُروض وهي الأمتعةُ التي يُتَّجر فيها.

٣٨٦٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتاً».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

قوله: قوتاً، أي: ما يُمسِكُ رَمَقَهُ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقيتاً﴾ [النساء: ٨٥]، أي: مُقتدِراً يُعطي كلَّ إنسانٍ قوته.

٣٨٦٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (١٠٥٤)، والترمذي (٢٣٤٨) وغيرهما.

سُئِل سعيد بن عبد العزيز: ما الكفافُ من الرزق؟ قال: شِبعُ يومٍ، وجوعُ يومٍ. وفيه: فضيلةُ التقلُّلِ من الدنيا والاقتصار على القليلِ منها.

٣٨٧٠- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَغْبَطُ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الحاذِ، ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً، فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَقَدَ بِيَدِهِ، فَقَالَ: عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، قَلَّتْ بَوَاكِيهِ، قَلَّ تُرَاثُهُ».

أخرجه أحمد (٢٢١٦٧)، والترمذي (٢٣٤٧)، وابن ماجه (٤١١٧) بإسنادٍ ضعيفٍ.

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوماً، وَأَجُوعُ يَوْماً -أَوْ قَالَ ثَلَاثاً أَوْ نَحْوَ هٰذَا- فَإِذَا جُعْتُ، تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ، حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ».

أخرجه الترمذي بإثر الحديث السالف وبالإسناد نفسه.

قوله: «خفيفُ الحاذِ» أي: خفيف الحال قليل المال، وأصله قلة اللحم، والحال والحاذ واحدٌ، وهو ما وقع عليه اللِّبدُ من مَتن الفرس. «وكان غامِضاً» أي: مستورَ الحال. «وكان رِزقه كفافاً» أي: لا يَفضُلُ عمَّا لا بدَّ منه.

قوله: «نَقدَ بيده» أي: ضَرَبَ من قولهم: نقدتُ رأسه بأصبعي، أي: ضَربْتُه. والتُراثُ: الميراث، قال الله سبحانه وتعالى ﴿وتَأكلونَ التُراثَ أكلاً لَمّاً﴾ [الفجر: ١٩].

٣٨٧١- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، إِنَّهُمَا لَيُسْمِعَانِ مَنْ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، وَلَا آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَأَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً».

حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢١٧٢١)، والطيالسي (٩٧٩)، وصحَّحه ابن حبان (٣٣٢٩).

٣٨٧٢- عن مَسروق قال: قَالتْ لِيَ عَائِشَةُ: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائشَةُ إِنَّ الدُّنْيَا لَا تَنْبَغِي لِمُحَمَّدٍ وَلَا لآلِ مُحَمَّدٍ. يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ مِنْ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلى مَكْرُوهِهَا، وَالصَّبْرِ عَنْ مَحْبُوبِهَا، لَمْ يَرْضَ إِلَّا أَنْ كَلَّفَنِي مَا كَلَّفَهُمْ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وَإِنِّي واللهِ مَا بُدٌّ لِي مِنْ طَاعَتِهِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا بُدٌّ لِي مِنْ طَاعَتِهِ، وَاللهِ لأَصْبِرَنَّ كَمَا صَبَرُوا وَأَجْهَدَنَّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

ذكره أبو الشيخ تعليقاً في «أخلاق النبي ﷺ» ص٢٧١ وفي إسناده مجالد ابن سعيد وهو ضعيف، والسري بن حبان، وهو مجهول.

٣٨٧٣- عن إبراهيم، عن علقمة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا الآخِرَةَ عَلى الدُّنْيَا».

أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» ص٢٧٣، وابن ماجه (٤٠٨٢)، وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد، وأخرجه الحاكم ٤/ ٤٦٤ من طريق آخر عن إبراهيم، به. قال الذهبي: وهو موضوع.

٣٨٧٤- عَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ لِنَفسِهِ».

هذا حديث حَسنٌ، أخرجه أحمد (١٧١٨٦)، والترمذي (٢٣٨٠)، وصحَّحه ابن حبان (٥٢٣٦).

وهذا الحديثُ أصلٌ جامعٌ لأُصول الطبِّ كلِّها، وروي أنَّ بعض الأطباء قال: لو استعمل الناسُ هذه الكلمات، سلموا من الأمراضِ والأسقام، وإنَّما قال هـذا، لأنَّ أصْلَ كلِّ داءٍ التُّخَمُ. فهذه بعضُ منافع تقليل الغذاء بالنسبة إلـى صلاح البدن وصحته. وأما منافعهُ بالنسبة إلى القلب وصلاحهِ فإنَّ قلَّة الغذاءِ توجبُ رقَّة القلب، وقوَّة الفهم، وانكسار النفس، وضَعْفَ الهوى والغضب، وكثرة الغذاءِ توجبُ أضدادَ ذلك. وكان يقال: مَنْ ملك بطنه ملك الأعمال الصالحةَ كلَّها. وما قلَّ طُعْمُ امرىءٍ قطّ، إلَّا رقَّ قلبُه ونديَتْ عيناه. أفاده الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٤٦٨. وفيه تمامُ شرحه.

٣٨٧٥- عن بقية بن الوليد: حَدَّثَنِي أيُّوبُ بْنُ عُثْمَانَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَتَجَشَّأُ فَقَالَ: «أقْصِرْ مِنْ جُشَائِكَ، فَإنَّ أطْوَلَ النَّاسِ جُوعاً يَوْمَ القِيَامَةِ أطوَلُهُمْ شِبَعاً فِي الدُّنْيَا».

إسناده ضعيف، وفي الباب عند الترمذي (٢٤٨٠)، وٱبنُ ماجه (٣٣٥٠) من حديث ابن عمر، وعن سلمان عند ٱبن ماجه (٣٣٥١)، وعن أبي جُحَيْفة عند الطبراني، فيتحسن الحديث.

وحكي عن الحسن قال: قال لقمان لابنه: يا بنيَّ لا تأكلْ شِبعاً فوق شِبعٍ، فإنك أنْ تنبِذَ إلى كلبٍ خيرٌ لك.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه نهى عن التبقُّر في الأهل والمال، أخرجه أحمد (٤١٨١) بسندٍ ضعيف.

قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٢٣٦: يريد الكثرة والسِّعة، وأصل التبقُّر: التوسُّع والتفتح، يقال: بَقَرْتُ بطنه: إذا شققته وفتحته.

قال أبو الدّرداء: أحبُّ الموتَ اشتياقاً إلى ربي، وأحبُّ المرض تكفيراً لخطيئتي، وأحبُّ الفقرَ تواضعاً لربي.

٣٨٧٦- عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: جَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ فِي خَمِيلٍ وَقِرْبَةٍ وَوِسادَةِ أدَمٍ حَشْوُهَا إذْخِرٌ.

أخرجه أحمد (٦٤٣)، والنسائي ٦/ ١٣٥، وسنده قوي، وتمام تخريجه في «المسند».

قال محمد بن كعب القُرظيُّ: إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً، جعل فيه ثلاث خصالٍ: فِقْهاً في الدِّين، وزهادةً في الدنيا، وبَصيرةً بعيوبه.

وقال سفيان الثوري: إنَّ القراءةَ لا تصلح إلا بزهدٍ، ازهدْ ونَمْ وصلِّ الخمس.

بابُ

ما يتقى من فتنة المال

لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾ [الزمر: ٨] أَيْ أَعْطَاهُ وَمَلَّكَهُ، يُقَالُ: هُمْ خَوَلُ فُلَانٍ، أَيْ: أَتْبَاعُهُ، الوَاحِدُ خَائِلٌ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] قِيلَ: مَعْنَاهُ: امْتَنَعَ بِقُوَّتِهِ وَرِجَالِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١] قَالَ مُجَاهِدٌ: تَرَدَّى، أَيْ: مَاتَ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢] أَيْ: جَعَلَهُ عُدَّةً لِلدَّهْرِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣] أَيْ: جَعَلْنَا مُجْرِمِيهَا أَكَابِرَ، لِأَنَّ الرِّيَاسَةَ وَالدَّعَةَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الكُفْرِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ [المعارج: ١٩] الهَلُوعُ: مَا جَاءَ فِي الآيَةِ مِنَ التَّفْسِيرِ الَّذِي يَجْزَعُ، وَيَفْزَعُ مِنَ الشَّرِّ، وَيَحْرِصُ وَيَشِحُّ عَلَى المَالِ، وَقِيلَ: الهَلُوعُ: الضَّجُورُ الَّذِي لَا يَصْبِرُ عَلَى المَصَائِبِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِيْنَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤]. قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَلَّا نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهَا. قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: إِنَّما سُمِّيَ المَالُ مَالاً لِأَنَّهُ يُمِيلُ القُلُوبَ.

٣٨٧٧- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ» [قيل: وما بَرَكاتُ الأرضِ؟] قَالَ: «زَهْرَةُ الدُّنْيَا» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا يَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ. قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ لِذَلِكَ، قَالَ: «لَا يَأْتِي الخَيْرُ إِلَّا بِالخَيْرِ، إِنَّ هٰذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ، أَلَا إِنَّ آكِلَةَ الخَضِرَةِ تَأْكُلُ حَتَّى إِذَا اسْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَاجْتَرَّتْ وَثَلَطَتْ وبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ، وَإِنَّ هٰذَا المَالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ المَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٢).

قوله: «خَضِرَةٌ» فالخَضِرَةُ: الغضَّةُ الحَسَنةُ يريد أنَّ صورة الدنيا ومتاعها حَسنةُ المنظرِ تُعجِبِ الناظر، وكلُّ شي غض طَرِي، فهو خضِرةٌ، وأصله من خضرة الشجر، ومنه قيل للرجل إذا مات شاباً غضّاً: قدِ اخْتُضِرَ، ويقال: خذ هذا الشيءَ خَضِراً مَضِراً، فالخَضِرُ: الحَسنُ الغضُّ، والمَضِرُ إتباعٌ، ويقال: خُذهُ بلا ثمن، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فأخرجنا منه خَضِراً﴾ [الأنعام: ٩٩] أي: ورَقاً أخضر، يُقال: أخضرُ خَضِرٌ كما يقال: أعوَرُ عَوِرٌ، وكلُّ شيءٍ ناعم، فهو خَضِرٌ.

وقوله: «يَقتل حَبَطاً» قال الأصمعي: الحَبَطَ: هو أن تأكل الدابةُ، فتُكثِرَ حتى تنتفِخ لذلك بطنُها وتمرضَ، يقال منه: حَبِطت تحبط حَبطاً، قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/٦٢: قوله: «أو يُلِمُّ» يعني يَقربُ من ذلك.

قال الأزهريُّ: فيه مَثلان ضَربَ أحَدهما للمفرط في جمع الدنيا ومنعِها من حقِّها، وضرب الآخر للمقتصِد في أخذها والانتفاع بها.

فأما قوله: «وإنَّ مما يُنبِتُ الربيعُ ما يقتُل حَبطاً» فهو مَثلٌ للمفرطِ الذي يأخذها بغير حقٍّ، وذلك أنَّ الربيع يُنبِت أحرارَ العشبِ، فتستكثِرُ منها الماشيةُ حتى تنتفِخ بطونها لما قد جاوزت حدّ الاحتمال، فينشقُّ أمعاؤها، فتهلِكُ كذلك الذي يجمع الدنيا من غير حِلِّها، ويَمنع ذا الحقِّ حقه يَهلِك في الآخرة بدخول النار.

وأما مثلُ المقتصِدِ، فقوله ﷺ: «ألا إنَّ آكِلة الخضِرة» وذلك أنَّ الخَضِر ليست من أحرار البقول التي يُنبتُها الربيع، فتستكثر منها الماشية، ولكنَّها من كلأ الصيف التي ترعاها المواشي بعد هَيْجِ البقول شيئاً فشيئاً من غير استكثارٍ، فضرَب مثلاً لمن يقتصِد في أخذ الدنيا، ولا يحمله الحرصُ على أخذها بغير حقِّها، فهو ينجو من وبالها.

وقوله: «استقبلتِ الشمس فاجترَّتْ وثلطتْ» أراد أنها إذا شبعت بركتْ مستقبلةَ الشمس تجترُّ وتستمرىء بذلك ما أكلت، فإذا ثلطتْ زال عنها الحَبط، وإنما تحبط الماشيةُ إذا كانت لا تثلِط ولا تبول. قال الخطابيُّ: وجَعل ما يكون من ثلْطِها وبولها مثلاً لإخراج ما يكسِبه من المال في الحقوق.

وفيه الحضُّ على الاقتصاد في المال، والحثُّ على الصدقة، وتركُ الإمساك للادِّخار.

قال الأزهري في قوله: «ألا إنَّ آكلة الخَضِرة» قال الخَضِرُ ها هنا: ضَرْبٌ من الجَنْبةِ، واحدها خَضِرةٌ وَالجَنْبةُ من الكلأ: ماله أصلٌ غامضٌ في الأرض كالنِّصِّيِّ والصِّليَّان، والنِّصِّيُّ: نَبْتٌ معروف، يقال له: نصي ما دام رطباً، فإذا ابيض فهو الطريفة، فإذا ضخم ويبس فهو الحلي. والصِّليَّان: نبت له سَنَمةٌ

عظيمة كأنها رأس القصبة إذا خرجت أذنابها تجذبها الإبل والعرب تسميه خبزة الإبل.

٣٨٧٨- عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمة: أنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الأنْصَارِيَّ -وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْراً- أخْبَرَهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أهْلَ البَحْرَيْنِ، وَأمَّرَ عَلَيْهِمُ العَلاَءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأنْصَارُ بِقُدُومِ أبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الفَجْرَ، انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: «أظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أنَّ أبَا عُبَيْدَةَ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَأبْشِرُوا وَأمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لاَ الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أخْشَى عَلَيْكُمْ أنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَما بُسِطَتْ عَلى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أهْلَكَتْهُمْ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٢٥)، ومسلم (٢٩٦١).

قولـه: «وتهلككم» يعني أنَّ المالَ مرغوبٌ فيه فترتاح النَّفْسُ لطلبه فَتُمْنَعُ منه فتقع العداوةُ المقتضيـة للمقاتلة فيقع الهـلاك. قال ابن بطال: فيه أنَّ زهـرة الدنيا ينبغـي لمن فُتِحَتْ عليه أن يحذرَ من سوءِ عاقبتها وشرِّ فِتنتها. فلا يطمئنَّ إلى زخرِفها ولا ينافِسْ غَيْرَه فيها. ذكره الحافظ في «الفتح» ١١/ ٢٤٩.

٣٨٧٩- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَكَلَتْنَا الضَّبُعُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «غَيْرُ ذَلِكَ أَخْوَفُ عِنْدِي أَنْ تُصَبَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبّاً».

إسناده ضعيف، وله شاهدٌ يتقوَّى به من حديث أبي ذر عند أحمد (٢١٣٥٣)، وفي إسناده يزيد بن أبي زياد الهاشمي، وهو ضعيف.

قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/٣٩٨: الضَّبُعُ: هي السنة المجدِبة.

٣٨٨٠- عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه أحمد (١٥٧٩٤)، والترمذي (٢٣٧٦)، والطبراني في «الكبير» ١٩/(١٨٩)، وصحَّحه ابن حبان (٣٢٢٨). وقد بسط الإمامُ الحافظ ابن رجب الحنبلي الكلامَ في شَرْح هذا الحديث في رسالةٍ نفيسةٍ مطبوعة. وذكر أنَّ هذا الحديثَ مثلٌ عظيمٌ جدّاً ضربه النبي ﷺ لفسادِ دين المسلم بالحِرْصِ على المالِ والشرف في الدنيا. وأنَّ الحرصَ على نوعين: أحدهما شدَّة محبة المال مع شدَّة طلبه من وجوهه المباحة مع الجهد والمشقة. وهذا لو لم يكن فيه إلّا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له، وقد كان يمكن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم فضيَّعه في طلبِ رزق مضمون مقسوم، يتركه لغيره ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره، ويَقْدَمُ على مَنْ لا يعذره لكفاه بذلك ذمّاً للحرص.

والنوع الثاني: هو الزيادة في الطلب حتى يطلب المال من الوجوه المحرّمة، ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا هو الشحُّ المذموم. في كلام بالغ التجويد والتحرير.

٣٨٨١- عن عبد الله بن الشِّخِّير قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَقْرَأُ هذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَا لِي مَا لِي، وَهَلْ لَكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٥٨).

٣٨٨٢- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

٣٨٨٣- قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ؟» قَالُوا: يَا رسُولَ اللهِ مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ، قَالَ: «اعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» قَالُوا: مَا نَعْلَمُ إِلَّا ذلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ إِلَّا مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ» قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّما مَالُ أَحَدِكُمْ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٣٦٢٦)، والبخاري (٦٤٤٢) وتمام تخريجه في «المسند».

٣٨٨٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُجَاءُ بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذَجٌ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ، فَمَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ جَمَعْتُهُ،

وَثَمَّرْتُهُ، فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ، فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ كُلِّهُ، فَيَقُولُ لهُ: أَرِنِي مَا قَدَّمْتَ، فَيَقُولُ: رَبِّ جَمَعْتُهُ، وَثَمَّرْتُهُ، فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ، فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ كُلِّهِ، فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ خَيْراً فَيُمْضَى بِهِ إِلَى النَّارِ».

إسناده ضعيف، أخرجه الترمذي (٢٤٢٧) وقال: وقد روى غيرُ واحد هذا الحديثَ عن الحسن، ولم يُسنِدوه، وفيه إسماعيل بن مسلم يُضعَّفُ في الحديث.

البَذَجُ: ولد الضأن، وجمعُه بِذْجانٌ، فالبذجُ من أولاد الضأن، والعتودُ من أولاد المعز، وهو ما شبَّ وقوي.

٣٨٨٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ، رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ، سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيْكَ، فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقة، كانَ في السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ، لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ، لَمْ يُشَفَّعْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، وابن ماجه (٤١٣٥).

ويُروى «تعِس فلا انتعش، وشيك فلا انتقش» قوله: «تعِس» أي: انكبَّ وعثر، ومعناه: الدعاء عليه، أي: أتعسه الله، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فتعساً لهم﴾ [محمد: ٨] أي: عِثاراً وسقوطاً، وإذا سقط الساقط به، فأريد به الاستقامةُ، قيل: لعاً له، وإذا لم يُرد به الانتعاش، قيل: تعساً له. قوله: «وانتكس» يُقال: نكستُ الشيء: إذا قلَبتَه، والشيء منكوسٌ. والانتعاش: الارتفاع وسُمِّيَ نَعْشُ الجنازةِ نَعْشاً لارتفاعه. قوله: «فلا انتعش» أي: لا ارتفع، ويقال: انتعش العليل: إذا أفاق.

وقوله: «شيك فلا انتقش» أي: لا أخرجه من الموضع الذي دخله، ولا قدر على إخراجه، ونَقْشُ الشوكة: استخراجها، يقال: شاكه الشَّوْك يشوكه: إذا أصابه، وشاك يشاك: إذا دخل في الشَّوْك.

و«الساقةُ»: مؤخِّرةُ الجيش. والمرادُ أنه خاملٌ لا يقصد الذكْرَ والشهرةَ. ففي الحديثِ: فَضْلُ تَرْكِ حبِّ الرئاسة والشهرة وفَضْلُ الخمول والتواضع. وهو أمْرٌ صعبٌ لا يكاد يتحقَّقُ به إلّا المُخْبِتُ المُحْسِنُ.

٣٨٨٦- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ قَالَ: وَرَأى سِكَّةً وَشَيْئاً مِنْ آلَةِ الحَرْثِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ هذَا بَيْتَ قَوْمٍ إلَّا دَخَلَهُ الذُّلُّ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٣٢١). والسكَّةُ: الحديدةُ التي تُحْرَثُ بها الأرض. والمرادُ من اشتغل بذلك عن أداء الواجبات الشرعية.

قال عبد الرحمن بن عوفٍ: ابتُلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا، ثم ابتُلينا بالسرَّاء بعده، فلم نصبر.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك: إيَّاك أنْ تُدركَكَ الصرعةُ عند الغِرَّةِ، فلا تُقالُ العثرةُ، ولا تُمكَّنُ من الرجعة، ولا يَحمدْك من خَلَّفتَ بما تركتَ، ولا يَعذِرُكَ من تقْدَمُ عليه بما اشتغلت به، والسلام عليك.

بابُ

فَضْلِ الفقراء

٣٨٨٧- عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأى سَعْدٌ أنَّ لَهُ فَضْلاً عَلى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلَّا بِضُعَفَائِكُمْ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٨٩٦)، والنسائي ٦/ ٤٥.

وروي عن أبي الدَّرداء، عن النبي ﷺ قال: «ابغوني في ضعفائِكم، فإنما تُرزقون أو تُنصرون بضعفائِكم»، أخرجه أبو داود (٢٥٩٤)، والنسائي ٦/ ٤٥ بسندٍ صحيح.

وتأويلُ الحديثِ: أن الضعفاءَ أشدُّ إخلاصاً في الدعاء وأكثر خشوعاً في العبادةِ لخلاءِ قلوبهم عن التعلق بزخارف الدنيا. نقله الحافظ في «الفتح» ٦/ ١٠٥ عن ابن بَطَّال المالكي. وقال غيره: أراد النبي ﷺ حضَّ سَعْدٍ على التواضعِ ونَفْيِ الزَّهْوِ على غيرِه، وتَرْكِ احتقارِ المسلم في كلِّ حال.

٣٨٨٨- عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أسِيدٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَسْتَفْتحُ بِصَعَالِيكِ المُهَاجِرِينَ.

هذا حديثٌ مرسل، رجاله ثقات، أخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٢٤٨ وقال: هكذا قال عبد الرحمن يعني ابن مهدي، وهو عندي أميةُ بن عبد الله بن خالد بن أسيدٍ.

قال عبد الرحمن: يَستفتح، أي: يَستفتح القتال بهم، قال أبو عُبَيدٍ: كأنه يَتيمَّن بهم.

والصعاليك: هم الفقراء وقيل: يستفتح، أي: يستنصِر، والاستفتاح: الاستنصار، ويروى في التفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿إنْ تستفتِحُوا فقد جاءكم الفتحُ﴾ [الأنفال: ١٩] يقول: إن تستنصروا، فقد جاءكم النصر.

٣٨٨٩- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلى بَابِ الجَنَّةِ، فَإذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَقُمْتُ عَلى بَابِ النَّارِ، فَإذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

٣٨٩٠- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَقَفْتُ عَلى بَابِ الجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا المَسَاكِينَ، وَوَقَفْتُ عَلى بَابِ النَّارِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ، وَإِذَا أَهْلُ الجِدِّ مَحْبُوسُونَ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِ إِلَى النَّارِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٥٤٧).

قوله: «وإذا أهل الجِدِّ محبوسون» يعني: ذوي الحظِّ والغنى.

٣٨٩١- عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الدنْيَا، وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرْضَاكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ».

حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢٣٦٢٢) والترمذي بإثر (٢٠٣٦).

ويُروى هذا الحديثُ عن إسماعيل بن جعفرٍ، عن عمارة بن غَزيَّة، عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيدٍ، عن قتادة بن النُّعمان، عن النبي ﷺ، ومحمود بن لبيدٍ قد رأى النبيَّ ﷺ وهو غلامٌ صغيرٌ، أخرجه الترمذي (٢٠٣٧)، وصححه الحاكم ٤/ ٣٠٩ ووافقه الذهبي.

٣٨٩٢- عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: يَكْرَهُ المَوْتَ وَالمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ المَالِ وَقِلَّةُ المَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ».

إسناده جيد، أخرجه أحمد (٢٣٦٢٥)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» ٤/ ١٥٠ وقال: رواه أحمد بإسنادَيْن، رواةُ أحدهما محتجٌّ بهم في الصحيح.

٣٨٩٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ، فَقَالَ: «انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ» قَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي، فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تَجْفَافاً، لَلْفَقْرُ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ».

أخرجه الترمذي (٢٣٥٠) وإسناده ضعيف، ومَتْنُ الحديث منكر.

وقيل في قوله: «فأعِدّ للفقر تجفافاً» أي آلةً تدفع بها عن دينك ضرره من الصبر والقناعة والرضا.

٣٨٩٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِس: «مَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هٰذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هٰذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هٰذَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤٤٧)، وابن ماجه (٤١٢٠).

وفي الحديث من الفقه: أن السيادة بمجرَّد الدنيا لا أثر لها، وأن الاعتبار في ذلك يكون بالآخرة.

٣٨٩٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٦٢٢). ويُروى: «رُبَّ ذي طِمْرَينِ لا يُؤْبَهْ به» أي: لا يُحتفل به. و«الطِّمْرُ»: الثوبُ الخَلَقُ البالي.

قال معاذ بن جبلٍ: لا يبلغ عبدٌ ذُرى الإيمان حتى تكون الضَّعةُ أحبَّ إليه من الشرف، وما قلَّ من الدنيا أحبَّ إليه مما كثرَ، ويكون مَن أحبَّ ومَن أبغض عنده في الحقِّ سواءً، ويَحكم للناس كما يحكم لنفسه وأهل بيته.

وعن طاووسٍ عن ابن عباس أنه مرَّ بقومٍ بعد ما أصيبَ بصرهُ وهم يُجذون حجراً، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قال: يُجذون حجراً، فقال: عمال الله أقوى من هؤلاء. الإجذاء: الإشالة، ويجذون حجراً، أي: يشيلونه ويرفعونه؛ لتعرف به شدة الرجل.

قال عمر بن عثمان: قال الله سبحانه وتعالى لموسى ﷺ: يا موسى إذا رأيت الغِنى مُقبلاً، فاعلم أنها عقوبة عُجِّلت، وإذا رأيتَ الفقرَ مُقبلاً، فقلْ: مرحباً بشعار المتقين.

وذُكِر للحسن فقراء المؤمنين، فقال رجُلٌ: يا أبا سعيدٍ ترجو أنْ أكون منهم؟ قال: تَجمع بين غداءٍ وعشاءٍ؟ قال: نعم. قال: لستَ منهم.

باب

كيف كان عيش النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وعيش أصحابه رضي الله عنهم

٣٨٩٦- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئاً عَلى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئاً يَرُدُّ البَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِساً وَالرُّومَ

قَدْ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ، فَقَالَ: «أَوَفِي هٰذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟! إِنَّ أُولئِكَ قَوْمٌ عُجِّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، (٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩).

الرِّمال: نسيجٌ من السَّعف، يُقال: رَمَلْتُ الحصير، وأرمَلْتُ، والأهبةُ جمعُ إهابٍ، وقال الأزهريُّ: آهِبةٌ جمعُ إهابٍ مثل آلهةٍ جمعُ إلهٍ.

٣٨٩٧- عن سماك بن حَرْبٍ، قال: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ، وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بَطْنَهُ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٧٧)، والترمذي (٢٣٧٣).

و«الدَّقَلُ» بالتحريك: التمر الرديء.

٣٨٩٨- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ.

انظر الحديث التالي.

٣٨٩٩- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٧٠) (٢٢).

٣٩٠٠- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَقَدْ كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَاراً، وَمَا هُوَ إِلَّا المَاءُ وَالتَّمْرُ غَيْرَ أَنْ جَزَى اللهُ نِسَاءً مِنَ الأَنْصَارِ خَيْراً، كُنَّ رُبَّمَا أَهْدَيْنَ لَنَا شَيْئاً مِنَ اللَّبَنِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢).

٣٩٠١- عن سُلَيْم بن عامرٍ قال: سَمِعْتُ أبَا أُمَامَة يَقُولُ: مَا كَانَ يَفْضُلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خُبْزُ الشَّعِيرِ.

حديث صحيح، أخرجه أحمد (٢٢١٨٤)، والترمذي (٢٣٥٩).

٣٩٠٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ، وَقَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيا، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنَ الخُبْزِ الشَّعِيرِ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٥٤١٤).

قوله: شاةٌ مَصليةٌ، أي: مَشويةٌ، ومنه يُقال: صَليتُ اللحم بالتخفيف: إذا شويته على جهة الصلاح، وصَلَّيتُ فلاناً بالنار بالتشديد، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وتصليةُ جَحيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤].

قوله: «فأبى أن يأكُلَ»: ليس هذا من تَرْكِ إجابة الدعوة لأنه في الوليمة لا في كل الطعام. وكأنَّ أبا هريرة رضوان الله عليه استحضر حينئذٍ ما كان النبي ﷺ فيه من شدَّةِ العيش فزهد في أكل الشاة.

٣٩٠٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِياً، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ.

أخرجه أحمد (٢٣٠٣)، والترمذي (٢٣٦٠) وإسناده صحيح.

٣٩٠٤- عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعاً لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وَأَخَذَ مِنْهُ

شَعِيراً لِأَهْلِهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا أَمْسى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَاعُ بُرٍّ، وَلَا صَاعُ حَبٍّ، وَإِنَّ عِنْدَهُ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٠٦٩)، والنسائي ٧/٢٨٨ وغيرهما.

الإهالة: الدَّسم ما كان، والسَّنخةُ: المتغيرة الريح من طول الزمان.

٣٩٠٥- عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: شَكَوْنَا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ الجُوْعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ عَنْ حَجَرَيْنِ.

أخرجه الترمذي (٢٣٧١) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلنا: في سنده سيَّار بن حاتم العَنَزي. وهو ضعيف يعتبر به.

٣٩٠٦- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ وَمَا لِيَ وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ».

أخرجه أحمد (١٢٢١٢)، وابن ماجه (١٥١)، والترمذي (٢٤٧٤) بإسنادٍ صحيح.

٣٩٠٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٤٤٢). وأصحاب الصفة: هم فقراءُ المسلمين الذين كانوا يبيتون في صفةِ المسجد.

٣٩٠٨- عنَ المُطَّلِب بن عبد الله، عن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِرَاشٌ غَلِيظٌ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، جَعَلْتُ فِرَاشاً آخَرَ لِيَكُونَ أَوْطَأَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلْتُهُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا هٰذَا يَا عَائِشَةُ»؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ فِرَاشاً رَثّاً غَلِيظاً، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ هٰذَا أَوْطأَ لَكَ، فَقَالَ: «أَخِّرِيهِ اثْنَانِ، وَاللهِ لَا أَقْعُدُ عَلَيْهِ حَتَّى تَرْفَعِيهِ» فَرَفَعْتُ الأَعْلَى الَّذِي صَنَعْتُ.

إسناده ضعيف لجهالة محمد بن خلَّاد الإسكندراني، ثم هو منقطع؛ لأن المُطَّلب بن عبد الله لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

٣٩٠٩- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ، فَمَخَطَ فِي أَحَدِهِمَا، فَقَالَ: بَخْ بَخْ يَتَمَخَّطُ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي الكَتَّانِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيّاً عَلَيَّ فَيَجِيءُ الجائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلى عُنُقِي يُرَى أَنَّ بِي جُنُوناً وَمَا بِي جُنُونٌ، وَمَا هُوَ إِلَّا الجُوعُ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٧٣٢٤)، والترمذي (٢٣٦٨).

قوله: «مُمَشَّقان» أي: مصبوغان بالمِشْقِ بكسر الميم وهو الطين الأحمر.

٣٩١٠- عن سَعد بن إبراهيم: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِماً، فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَكُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ، بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ، بَدَا رَأْسُهُ قَالَ: وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ

الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، وَقَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (١٢٧٥).

وفي الحديثِ من الفقه: أنه يجوز الاقتصار على ثوبٍ واحدٍ في التكفين ولا ينتظر بدَفْنِه ارتقابُ شيءٍ آخر.

وفيه: تواضع عبد الرحمن بن عوف في قوله: «وهو خير مني».

وفيه: إشارةٌ إلى تعظيم فَضْل من قُتِل في المشاهد الفاضلة مع النبي ﷺ. أفاده الحافظ في «الفتح» ٣/ ١٦٩.

٣٩١١- عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّابٍ نَعُودُهُ قَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إِلَّا التُّرَابَ، وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ، ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ يَبْنِي حَائِطاً لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ المُسْلِمَ يُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هٰذَا التُّرَابِ.

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٥٦٧٢).

وروي عن أبي أمامة عن خَبَّاب قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما أنفق المؤمنُ مِن نفقةٍ إلا أُجِرَ فيها إلا نفقته في هذا التراب» أخرجه الترمذي (٢٤٨٥).

ورُوي عن أنس بإسنادٍ غريبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقةُ كلها في سبيل الله إلا البناءَ فلا خير فيه» أخرجه الترمذي (٢٤٨٤) بسندٍ ضعيف.

وقال إبراهيم النخعيُّ: البناءُ كله وبالٌ، قيل: أرأيت ما لا بدَّ منه؟ قال: لا أجر ولا وِزْر.

٣٩١٢- عن خالد بن عُميرٍ العَدويِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْهَا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ عَاماً لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً، وَاللهِ لَتُملأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظُ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا فَالتَقَطْتُ بُرْدَةً، فَاشْتَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ حَيّاً إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيماً، وَعِنْدَ اللهِ صَغِيراً، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى تَكُونَ عَاقِبَتُهَا مُلْكاً، وَسَتَبْلُونَ أَوْ قَالَ: سَتَخْبُرُونَ الأُمَرَاءَ بَعْدِي.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٦٧)، والترمذي (٢٥٧٥).

وقوله: «آذَنَتْ» أي: أعلَمَتْ. و«الصُّرْمُ» بضم فَسكون: الانقطاع والذهابُ.

قوله: «ووَلَّتْ حَذَّاءَ»، أي: مسرعةً، قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ٢/٢٦٢: هي السريعةُ الخفيفةُ التي انقطع آخرها، ومنه قيل للقطاة: حَذَّاءُ لِقصَرِ ذنَبِها وخِفَّتِها، وحمارٌ أحَذُّ: قصيرُ الذَنبِ. و«صُبابةُ الإناء»: البقيَّةُ

اليسيرةُ تبقى في الإناء من الشراب. يتصابُّها أي: يشربها صاحبها. و«هو كظيظٌ»، أي: ممتلىءٌ، والكظيظ: الزِّحام، يقال: كظَّهُ الشراب، وكظَّه الغيظ: إذا ملأ صدره، يُقال: رأيتُ على بابه كظيظاً، أي: زِحاماً.

بابُ

طولِ الأملِ والحِرْص

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١] أيْ: أدْرَكَكُمُ المَوْتُ. وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَوْفَ أَتُوبُ سَوْفَ أَعْمَلُ يَعْنِي: يُقَدِّمُ الذَّنْبَ، وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَا يَسْأَمُ الإنسَانُ مِن دُعَاءِ الخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] أيْ: لَا يَفْتُرُ مِنْ طَلَبِ المَالِ وَمَا يُصْلِحُ دُنْيَاهُ.

٣٩١٣- عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مِنْهُ اثْنَانِ: الحِرْصُ عَلى المَالِ، وَالحِرْصُ عَلى العُمْر».

هذا حديثٌ متَّفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧).

٣٩١٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «قَلْبُ الكَبِيرِ شَابٌّ عَلى حُبِّ اثْنَيْنِ: حُبِّ الحَيَاةِ وَحُبِّ المَالِ».

هذا حديثٌ متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٢٠)، ومسلم (١٠٤٦). ومعنى الحديث: أنَّ قَلْبَ الشيخ كاملُ الحبِّ للمال محتكمٌ في ذلك كاحتكام قوة الشباب في شبابه. وفي الحديث: ذمُّ الحرص على الدنيا والرغبة فيها. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٤/ ١٥.

٣٩١٥- عن عطاء بن أبي رباحٍ قال: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَى ثَالِثاً، وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلى مَنْ تَابَ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١٠٤٩).

قوله: «ولا يملأ جوفَ آبن آدم إلّا التراب» هو كنايةٌ عن الموت، فكان المعنى: أنَّ الإنسان لا يشبع من الدنيا حتى يموت.

وقوله: «ويتوب الله على مَنْ تاب» أي: أنَّ الله تعالى يقبلُ التوبةَ من الحريصِ كما يقبلها من غيره. وفيه: إشارةٌ إلى ذمِّ الاستكثار من جَمْعِ المال وتمنِّي ذلك والحرص عليه، للإشارة إلى أنَّ الذي يترك ذلك يطلق عليه أنه تاب.

٣٩١٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ غَرَزَ عُوداً بَيْنَ يدَيْهِ، وَآخَرَ إِلَى جَنْبِهِ، وَآخَرَ أَبْعَدَ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هٰذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هٰذَا الإِنْسَانُ، وَهٰذَا الأَجَلُ - أراهُ قَالَ: - وَهٰذَا الأَمَلُ، فَيَتَعَاطَى الأَمَلَ فَلَحِقَهُ الأَجَلُ دُونَ الأَمَلِ».

أخرجه أحمد (١١١٣٢) بإسنادٍ حسن.

٣٩١٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هٰذَا ابْنُ آدَمَ وهٰذَا أَجَلُهُ» وَوَضَعَ يَدَهُ عِنْدَ قَفَاهُ، ثُمَّ بَسَطَ فَقَالَ: «وَثَمَّ أَمَلُهُ».

أخرجه الترمذي (٢٣٣٤)، وآبن ماجه (٤٢٣٢) بسندٍ صحيح.

٣٩١٨- عَنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خَطّاً مُرَبَّعاً، وَخَطَّ خَطّاً فِي الوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إِلَى هٰذَا الَّذِي فِي

الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، فَقَالَ: «هٰذَا الإِنسَانُ، وَهٰذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهٰذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهٰذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هٰذَا، نَهَسَهُ هٰذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هٰذَا نَهَسَهُ هٰذَا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤١٧)، والترمذي (٢٤٥٦) وغيرهما.

وقال علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: إنما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل يُنسي الآخرة، وإن اتِّباع الهوى يَصدُّ عن الحقِّ. أخرجه ٱبن أبي الدنيا في «قِصَر الأمل»: ٢٦.

وقال عَوْنٌ: كم من مُستقبِلٍ يوماً لا يستكمله ومُنتظرٍ غداً لا يبلُغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغَضتم الأمل وغروره. قال سفيان الثوريُّ: ليس الزهدُ في الدنيا بلبس الغليظِ والخشِن، وأكل الجَشِب، إنما الزُّهد في الدُّنيا قِصَرُ الأمَلِ.

وقال بعضُ أهل العلم: مَنْ قَصُرَ أملُه قلَّ همُّه وتنوَّر قَلْبُه، لأنه إذا استحضر الموتَ اجتهد في الطاعةِ، وقلَّ همُّه، ورضي بالقليل. وكان ٱبن الجوزي كما في «صيد الخاطر» (٩٦) يذهبُ إلى التوسط، ويرى أنَّ قِصَرَ الأملِ يصرفُ عن التشاغلِ بالعلم والأخذِ بأسباب المعاش، فالصوابُ العكوفُ على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعاً لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم.

بابُ

استحبابِ طولِ العمر للطاعة وتمني المال للخير

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧] وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا حَسَدَ إلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ...» متفق عليه.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نِعِمَّا بِالمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».

أخرجه أحمد ضمن الحديث (١٧٧٦٣) من حديث عمرو بن العاص بسندٍ صحيح.

٣٩١٩- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ».

هذا حديثٌ حسن، أخرجه أحمد (٢٠٤١٥)، والترمذي (٢٣٣٠) ولبعضه شاهد من حديث عبدالله بن بُسْر عند أحمد (١٧٦٨٠)، والترمذي (٢٣٢٩) وحسَّنه. وآخر من حديث أبي هريرة عند أحمد (٧٢١٢)، وصحَّحه ابن حبان (٤٨٤) وتمام تخريجه في «المسند».

٣٩٢٠- عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ آخَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ مَاتَ الآخَرُ، فَصَلَّوا عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَا قُلْتُمْ؟» قَالُوا: دَعَوْنَا اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَيَرْحَمَهُ وَيُلْحِقَهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ وَعَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ، أَوْ قَالَ: صِيَامُهُ بَعْدَ صِيَامِهِ، لَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».

وقال محمد بن كثيرٍ عن شُعبة: ومات الآخر بعده بجُمُعةٍ أو نحوها.

وهذا حديثٌ صحيح الإسناد، أخرجه أحمد (١٦٠٧٤)، وأبو داود (٢٥٢٤)، والنسائي ٤/ ٧٤. وصححه ابن حبان (٢٩٨٢).

٣٩٢١- عن أبي كَبْشَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً، فَاحْفَظُوهُ، فَأَمَّا الَّذِي أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: فَإِنَّهُ مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ بِصَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهِ عِزّاً، وَلَا فَتَحَ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ لَهُ بَابَ فَقْرٍ، وَإِنَّمَا الَّذِي أُحَدِّثُكُمْ، فَاحْفَظُوهُ، فَإِنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ فِيهَا مَالاً وَعِلْماً، فَهُوَ يَتَّقِي بِهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْمَلُ للهِ فِيهِ بِحَقِّهِ، فَهٰذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَتَخَبَّطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْمَلُ فِيهِ بِحَقٍّ، فَهٰذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلَا عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً، عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ نِيَّتُهُ، وَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ».

حديث حسن، أخرجه أحمد (١٨٠٢٤) و(١٨٠٣١)، والترمذي (٢٣٤٦).

٣٩٢٢- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ» فَقِيلَ: وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ المَوْتِ».

أخرجه أحمد (١٢٠٣٦)، والترمذي (٢١٤٣)، وصححه ابن حبان (١٨٢٢).

ويُروى: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عسله» قيل: ما عسلَهُ فذكر مثل معناه، والعسل: طيبُ الثناء.

قال حذيفة: ليس خياركم مَن ترك الدنيا للآخرة، ولا مَن ترك الآخرة للدنيا، ولكن خياركم مَن أخذ من كلٍّ.

وقال سعيد بن المسيِّب: لا خيرَ فيمن لا يجمع المال، فيكُفُّ به وَجْهَه، ويؤدِّي به أمانته، ويَصِل به رحمه. وحُكي أنه لمَّا مات ترك دنانير، فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أتركها إلا لأصونَ بها ديني وَحسبي.

قال سفيان الثوريُّ: كان المال فيما مضى يُكرَه، فأما اليوم، فهو تُرْسُ المؤمن، وقال: لولا هذه الدنانيرُ، لتمندل بنا هؤلاء الملوكُ.

وقال: من كان في يده مِن هذه شيءٌ، فليُصْلِحْهُ، فإنه زمانٌ إن احتاج، كان أول من يبذل دينه، وقال: الحلال لا يحتمِلُ السَّرفَ.

بابُ
النَّظَرِ إلى من هو أسفل منه

٣٩٢٣- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هو أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

ونقل الحافظ في «الفتح» ١١/ ٣٣٠ عن ابن بَطَّال المالكي قال: هذا الحديثُ جامعٌ لمعاني الخير، لأنَّ المَرْءَ لا يكون بحالٍ تتعلق بالدين من عبادة ربِّه مجتهداً فيها إلَّا وَجَدَ مَنْ هو فَوْقَه، فمتى طلبت نفسُه اللَّحاقَ به استقصر

حاله فيكون أبداً في زيادةٍ تُقرِّبُه من ربه. ولا يكون على حالٍ خسيسةٍ من الدنيا إلّا وجد من أهلها مَنْ هو أخسُّ حالاً منه، فإذا تفكر في ذلك علم أنَّ نعمة اللهِ وصلت إليه دون كثيرٍ ممن فُضِّل عليه بذلك من غير أمرٍ أوجبه، فيلزم نَفْسَه الشكر، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده.

٣٩٢٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالجِسْمِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ دُونَهُ فِي المَالِ وَالجِسْمِ».

هذا حديث متفق على صحته.

٣٩٢٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ» قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «عَلَيْكُمْ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٦٣).

٣٩٢٦- عن عمرو بن شعيب عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ، كَتَبَهُ اللهُ شَاكِراً صَابِراً، وَإِنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ شَاكِراً وَلَا صَابِراً: مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَاقْتَدَى، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ اللهُ فِيهِ عَلَيْهِ، كَتَبَهُ اللهُ شَاكِراً صَابِراً، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ شَاكِراً وَلَا صَابِراً».

هذا حديثٌ ضعيف، أخرجه الترمذي (٢٥١٢)، وآفتُه المثنى بن الصباح ضعيف.

٣٩٢٧-قال ابن أبي مريم: سمعت أبا هريرة يقول: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَغْبِطَنَّ فَاجِرَاً بِنِعْمَتِهِ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا هُوَ لَاقٍ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنَّ لَهُ عِنْدَ اللهِ قَاتِلاً لَا يَمُوتُ».

فبلغ ذلك وَهْبَ بنَ مُنَبِّهٍ فأرسلَ إليه وهبٌ أي: إلى ابن أبي مريم أبا داود الأعور، فقال: يا أبا فلانٍ ما قاتلاً لا يموت؟ قال ابنُ أبي مريم: النار.

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٧٩) وفي سنده جَهْمُ بن أوس لا يعرف، وعبد الله بن أبي مريم لم يوثقه غير ٱبن حبان.

وقال الحسن: لعمري لو كُشِفَ الغطاء، لشُغِلَ مُحسِنٌ بإحسانه ومسيءٌ بإساءته عن تجديدِ ثوب، أو تَرْطيل شعرٍ. أراد بترطيل الشّعر تليينه بالدُّهن وما أشبهه، يقال للرجل فيه ليِنٌ: رجُل رَطْلٌ بالفتح، والذي يوزَن به ويُكال رِطلٌ بكسر الراء.

قال عَوْن بن عبد الله: صحِبتُ الأغنياء، فلم أرَ أحداً أكبر همّاً منّي، أرى دابةً خيراً مِن دابَّتي، وثوباً خيراً من ثوبي، وصَحِبتُ الفقراء فاسترحتُ.

وقال حُذيفة: إيَّاكم ومواقفَ الفِتَنِ، قيل: وما مواقفُ الفِتن يا أبا عبدَ الله؟ قال: أبوابُ الأمراء يدخل أحدكم على الأمِير، فيُصدِّقه بالكذِب، ويقول له ما ليس فيه.

وقال ابنُ مسعود: إن على أبوابِ السلطان فِتَناً كمباركِ الإبل والذي نفسي بيده لا تُصيبون مِن دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دِينِكُم مِثلَيْه.

قال سفيان: إذا دَعوْكَ لتقرأ عليهم ﴿قُلْ هوَ اللهُ أحَدٌ﴾ فلا تأتِيهم يعني السلطان.

بابٌ

الدنيا سِجْن المؤمن

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] أيْ: فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَالإنْسَانُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي ضِيقٍ، ثُمَّ يُكَابِدُ مَا يُكَابِدُهُ مِنْ أمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، ثُمَّ المَوْتُ إلَى أنْ يَسْتَقِرَّ فِي جَنَّةٍ أوْ نَارٍ.

٣٩٢٨- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٩٥٦)، وأحمد (٨٢٨٩)، والترمذي (٢٣٢٤)، وتمام تخريجه في «المسند».

ومعنى الحديثِ: أنَّ كلَّ مؤمنٍ مسجونٌ ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرَّمة والمكروهة مكلَّفٌ بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعدَّه الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان. وأما الكافر فإنَّما له من ذلك ما حصَّل في الدنيا مع قلَّته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذابِ الدائم وشقاء الأبد. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٣٣٣.

٣٩٢٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَسَنَتُهُ، وَإذَا فَارَقَ الدُّنْيَا، فَارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ».

إسناده ضعيف لجهالة حال عبد الله بن جُنادة المعافري أحد رواته، وأخرجه أحمد (٦٨٥٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٥٩٨)، والحاكم ٤/ ٣١٥، وصحَّحه

وسكت عليه الذهبي، وأصل الحديث في «الصحيح» كما مرَّ في الحديث السابق، وتمام تخريجه في «المسند».

و«السَّنَةُ»: القَحْطُ والجَدْبُ.

وأخرجه أحمد (٦٨٥٥)، وعبد الله بن جنادة المعافري لم يوثقه غير ابن حبان، ورواه الحاكم ٤/ ٣١٥ من طريق يحيى بن أيوب بهذا الإسناد، وسكت هو والذهبي عن الكلام عليه.

بابُ

التوكلِ على الله عز وجل

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١] أيْ: لِيَكِلُوا أُمُورَهُمْ إلَيْهِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] قَالَ الرَّبِيعُ ابْنُ خُثَيْمٍ: مِنْ كُلِّ مَا ضَاقَ عَلى النَّاسِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَها إبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَها مُحَمَّدٌ حِينَ قَالُوا: ﴿إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إخْبَاراً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ أنْسَى الشَّيْطَانُ يُوسُفَ ذِكْرَ رَبِّهِ حَتَّى اسْتَغَاثَ بِمَخْلُوقٍ ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ رُوِيَ عَنِ

الحَسَنِ البَصْرِيِّ قَالَ: دَخَلَ جِبْرِيلُ عَلى يُوسُفَ فِي السِّجْنِ فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: يَا أَخَا المُنْذِرِينَ مَاذَا تَعْمَلُ بَيْنَ المُذْنِبِينَ؟ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا طَيِّبُ بْنَ الطَّيِّبِينَ يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ: أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي أَنِ اسْتَغَثْتَ بِمَخْلُوقٍ مِثْلِكَ، وَعِزَّتِي لأُطِيلَنَّ حَبْسَكَ. فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: أَهُوَ رَاضٍ عَنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِذاً لا أُبَالِي.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٦] وَيَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ [القصص: ٥].

٣٩٣٠- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ أُمَّتِي الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢١٨)، وأحمد (١٩٩١٣).

وروي عن المغيرة بن شُعبةَ أنَّ النبي ﷺ قال: «من اكتوى فقد برىء من التوكل»، أخرجه أحمد (١٨١٨٠)، والترمذي (٢٠٥٥)، وصحَّحه ابن حبان (٦٠٨٧) وهو كما قال.

وعن مُطرِّف بنِ عبد الله قال: قال عِمرانُ بنُ حُصينٍ كان يُسلَّم عليَّ، فلما اكتويْت رُفِع عنِّي، فلما تركتُ ذلك، عاد إليَّ. أخرجه مسلم (١٢٢٦).

وعن أبي التيَّاح، عن مُطرِّف، عن عِمران بنِ حُصينٍ قال: اعلم يا مُطرِّف أنه كان تُسلِّم الملائكة عليَّ عند رأسي، وعند باب البيت، وعند باب الحُجرة، فلما اكتويتُ ذهبتْ تلك، فلما بَرأ كَلْمُه قال: اعلمْ يا مُطرِّف أنه عاد إليَّ الذي كان، اكتمْ عليَّ يا مُطرِّفْ حتى أموت.

وقد ذكر ٱبن مُفْلح الحنبلي في «الآداب الشرعية» ٢/٣٣٣: أنَّ تَرْكَ التداوي هو الذي نصَّ عليه أحمد كما ذكره المروذي قال: العِلاجُ رخصةٌ وتَرْكهُ درجةٌ أعلى منه. وقيل: بل فِعْلُه أفضلُ. وهو مذهبُ الشافعية وجمهورُ السلف وعامة الخلف، وقطع به ٱبنُ الجوزي، واختاره ٱبنُ هبيرة في «الإفصاح» وقال: ومذهبُ أبي حنيفة أنَّه مؤكدٌ حتى يداني به الوجوب. قال: ومذهبُ مالك أنه يستوي فِعْلُه وتَرْكُه. وتفسير الحديث: أنهم كانوا في الجاهلية يسترقي الرجلُ بالكلمات الخبيثة، فذلك الذي حذر منه رسولُ الله ﷺ.

٣٩٣١- عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٢٠٥) والترمذي (٢٣٤٤)، وصحَّحه ٱبن حبان (٧٣٠)، وتمام تخريجه في «المسند».

الخماص: جمع الخميص البطن، وهو الضامر، والمخمصةُ: الجوع، لأن البطن يَضمُر به.

وهذا الحديثُ أصلٌ في التوكل وأنه من أعظمِ الأسباب التي يُستجلبُ بها الرزق، قال الله عز وجل: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حَسْبُه﴾ [الطلاق: ٢-٣]. وحقيقةُ

التوكل: هو صدقُ اعتمادِ القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفعِ المضارِّ من أُمورِ الدنيا والآخرة كُلِّها، وكِلَةُ الأمورِ كلِّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه.

واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدَّر الله سبحانه المقدورات بها، وجَرَتْ سُنَّتُه في خَلْقِه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمرِه بالتوكل فالسعيُ بالجوراح طاعةٌ له، والتوكلُ بالقلب عليه إيمانٌ به. كما قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ [النساء: ٧١]، أفاده الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ٢/ ٤٩٦.

٣٩٣٢- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ، أَوْشَكَ اللهُ لَهُ بِالغِنَى إِمَّا مَوْتاً عَاجِلاً، أَوْ غِنىً عَاجِلاً».

هذا حديثٌ حسن، أخرجه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (١٣٢٧)، وأحمد (٣٦٩٦) وفيه تمام تخريجه.

٣٩٣٣- عَنِ المُطَّلِبِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ إِلَّا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ قَدْ أَلْقَى فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْعِبَ كُلَّ الذِي كَتَبَ اللهُ لَهَا، فَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَلْيُجْمِلْ فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تُدْرِكُوا مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ».

حديث صحيح رجالُ إسناده ثقات، لكنه مرسل، ويشهدُ له حديثُ ابن مسعود الآتي، وآخر من حديث جابر بنحوه عند الحاكم ٢/ ٤، ومن حديثِ أبي أُمامةَ عند أبي نُعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٦ فيتقوى الحديث بهذه الشواهد.

٣٩٣٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».

رجاله ثقات لكن في سنده انقطاع، وانظر ما قبله.

٣٩٣٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ».

في سنده من لم يُسَمَّ، وانظر ما قبله.

أراد بالروح الأمين وبروح القُدْسِ: جبريل عليه السلام، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وأيَّدناه بروح القدس﴾ [البقرة: ٨٧].

٣٩٣٦- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، أَلَا وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ رِزْقٍ أَنْ تَطْلُبُوا بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».

رجاله ثقات لكنه منقطع، وانظر الأحاديث السالفة.

قوله: «نفث في رُوعي» فالنَّفْثُ شبيهٌ بالنفخ، والتَّفل لا يكون إلا ومعه شيءٌ من الرِّيق. وقوله: في رُوعي، أي: في خَلَدِي ونفسي، معناه أوحيَ إليَّ. وفي حديث آخر: «إنَّ في كلِّ أمَّةٍ مُرَوَّعين ومُحدَّثين» متفق عليه.

والمُرَوَّعُ: الملهم كأنه يُلقى في رُوعِه الصواب. ورُوي عن أبي خالد الوالِبي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله يقول: ابن آدم تفرَّغ لعبادتي، أملأ صدرك غنىً، وأسدُّ فقرك، وإلا تفعل ملأتُ يدك شغلاً، ولم أسدَّ فقرك»، أخرجه أحمد (٨٦٩٦)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وابن حبان (٣٩٣) وسنده محتمل للتحسين، وتمام تخريجه في «المسند».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أبالي على أيِّ حالٍ أصبحتُ على ما أحِبُّ أو على ما أكره، لأني لا أدري الخير فيما أحِبُّ أو فيما أكره.

باب

الاجتناب عن الشهوات

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتبعوا الشهوات فسوف يلقَونَ غَيّاً﴾ [مريم: ٥٩].

فذكر سبحانه أنه ﴿خلف من بعدهم خَلْفٌ﴾ أي: قرونٌ أُخَر، ﴿أضاعوا الصلاة﴾ وإذا أضاعوها فهم لما سواها أضْيَعُ، لأنها عمادُ الدين وقِوامُه، وخيرُ أعمالِ العباد، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيّاً، أي: خساراً يوم القيامة. أفاده ابن كثير في «التفسير» ٣/ ١٣٤.

٣٩٣٧- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢).

وهذا من بديعِ الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها النبيُّ ﷺ من التمثيل الحَسَنِ، والمعنى: لا يُوصلُ إلى الجنة إلّا بارتكاب المكاره، والنارِ بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجابَ وصل إلى المحجوب، فهتكُ حجابِ الجنةِ باقتحام المكاره، وهتكُ حجابِ النار بارتكابِ الشهوات. فأمّا المكارهُ، فيدخل فيها الاجتهادُ في العبادات والمواظبة عليها، والصبرُ على مشاقها، وكَظْمُ الغيظ، والعفو والحلم والصدقة، والصبر عن الشهوات. وأما الشهوات فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنى والغيبة ونحوه. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٨٢.

٣٩٣٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «دَعَا اللهُ جِبْرِيلَ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى الجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَمَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، قَالَ: فَحُجِبَتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّارِ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهَا، وَانْظُرْ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ سَمِعَ بِهَا، فَحُجِبَتْ بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: عُدْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

إسناده حسن، أخرجه أحمد (٨٣٩٨)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي ٣/٧، وتمام تخريجه في «المسند».

وفي رواية الفوراني «فحُفَّتْ بالمكاره، فحُفَّتْ بالشهوات».

٣٩٣٩- عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ رسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ الكَيِّسَ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَإنَّ العَاجِزَ مَنْ أتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلى اللهِ».

أخرجه أحمد (١٧١٢٣)، والترمذي (٢٤٦١) وغيرهما بسندٍ ضعيف.

قوله: «دانَ نفسه» أي: استعبدها وأذلَّها يُقال: دِنْتُ القوم أَدينُهم: إذا فعلت ذلك بهم، وقيل: دانَ نفسه، أي: حاسَب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسَب في القيامة.

قال عمر بن الخطَّاب: حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تحاسَبُوا، وزِنوا أنفسكم قبل أن تُوزَنوا، وتجهزوا للعَرْض الأكبرِ، وإنما يَخِفُّ الحسابُ يومئذٍ على مَن حاسبَ نفسه في الدنيا. وقال: كفى بالمرءِ سَرَفاً أن يأكل كلَّ ما اشتهى.

قال أبو حازم: شيئان إذا عَمِلْتَ بهما، أصبتَ بهما خيرَ الدنيا والآخرة، قيل: ما هما؟ قال: تحمِل ما تكرَهُ إذا أحبه الله، وتترُك ما تحبُّ إذا كَرِه الله.

وقال ابن مسعود: الحقُّ ثقيلٌ مَرِيٌّ، والباطل خفيفٌ وبِيٌّ، ورُبَّ شهوةِ ساعة أورثتْ حُزناً طويلاً، ويُروى مثله عن حذيفة بنِ اليمان.

قال أبو الدرداء: لولا ثلاثٌ، لصلحَ الناس: شحٌّ مَطاعٌ، وهوًى متَّبعٌ، وإعجاب المرء بنفسه.

قال ابن عبّاس: ليأتينَّ على الناسِ زمانٌ يكون هِمَّةُ أحدهم فيه بطنه ودينه هواه.

٣٩٤٠- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ المُؤْمِنَ حَسَنَةً، يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي

الآخِرَةِ، قَالَ: وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُعَظَّمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهِ خَيْراً».

هذا حديث صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٠٨).

وقوله: «إنَّ الله لا يظلم» أي: لا يترك مجازاته بشيءٍ من حسناته. قال النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٦٥: أجمع العلماءُ على أنَّ الكافر الذي مات على كُفْرِه لا ثوابَ له في الآخرة، ولا يُجازى فيها بشيءٍ من عمله في الدنيا، متقرباً إلى الله تعالى. وصرَّح في هذا الحديثِ بأن يُطْعمَ في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقرباً به إلى الله تعالى ممَّا لا يفتقر صحته إلى النية كصلة الرحم والصدقة والعِتْق والضيافة وتسهيل الخيرات.

٣٩٤١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: رُئِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَوْضِعٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَخرَجَكَ؟ قَالَ: «الجُوعُ» قَالَ: أَنَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ أَخْرَجَنِي الجُوعُ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذلِكَ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِعِذْقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا كُنَّا نَصْنَعُ بِهٰذَا كُلِّهِ» قَالَ: تَأْكُلُونَ مِنْ بُسْرِهِ وَرُطَبِهِ، قَالَ: فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا عَلَيْهِ المَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٠٣٨).

وفي الحديثِ من الفقه: ما كان عليه النبي ﷺ وكبارُ أصحابه من التقلُّل من الدنيا، مما ابتلوا به من الجوع وضيق العيش في بعض الأوقات.

وفيه: جوازُ ذِكر الإنسان ما يناله من ألمٍ ونحوه لا على سبيل التشكي وعدم الرضا، بل للتسلية والتصبر.

٣٩٤٢- عن الضحاك بن عبد الرحمٰن بن عَرْزَم (ويقال: ابن عرزب) الأشعري قال: سَمِعْتُ أبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ أوَّلَ مَا يُسْأَلُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أنْ يُقَالَ لَهُ: ألَمْ نُصِحَّ جِسْمَكَ، وَنُرْوِكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟».

أخرجه الترمذي (٣٣٥٨) بإسنادٍ صحيح.

باب

حفظ اللسان

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

أي: ما يتكلم بكلمةٍ إلَّا ولها من يرقبُها مُعَدٌّ لذلك يكتبها لا يترك كلمةً ولا حركة. وقد اختلف العلماءُ هل يكتب الملكُ كلَّ شيءٍ من الكلام؟ وهو قولُ الحسن وقتادة، أو إنَّما يكتبُ ما فيه ثوابٌ وعقاب كما هو قولُ ابن عباس رضي الله عنهما؟ على قولين، وظاهرُ الآية الأول لعمومِ قوله تبارك وتعالى. أفاده ابن كثير في «التفسير» ٤/ ٢٣٩.

وقد عقد الإمام الغزالي كتاباً عظيم النفع في «إحياء علوم الدين» ٣/ ١١٧ تكلَّم فيه عن آفاتِ اللسان، وما يجب على المسلم من حفظِه ومُراعاته.

٣٩٤٣- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلَا يُؤْذِيَنَّ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أوْ لِيَصْمُتْ». وفي رواية القاضي: «أو ليسكُتْ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ من التزم شرائع الإسلامِ لزمَهُ إكرامُ ضيفه وجاره وبِرُّهما، وأنه إذا أراد أن يتكلَّم فإن كان ما يتكلَّم به خيراً محقَّقاً يثابُ عليه فليتكلم. وإن لم يظهر له أنه خيرٌ يثابُ عليه، فليمسك عن الكلام. ففيه فضيلةُ الصمت والإمساك عما لا يعني. وقد ذكر الإمام الغزالي في «الإحياء» ١٢١/٣: أن فضيلة الصمت ناشئة من كثرةِ آفات اللسان من الخطأ والغيبة والنميمة والكذب والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل.

٣٩٤٤- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٤٧٤)، والترمذي (٢٤١٠).

قوله: «من يضمن» هو بمعنى الوفاء بترك المعصية: فأطلق الضمان وأراد لازمَه وهو أداءُ الحقِّ الذي عليه، والمعنى: مَنْ أدَّى الحقَّ الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو الصمت عما لا يعنيه، وأدَّى الحقَّ الذي على فرجه من وَضْعِه في الحلال وكفِّه عن الحرام. وفيه دليلٌ: على أنَّ أعظمَ البلاءِ على المرءِ في الدنيا لسانه وفرجُه، فمن وقي شرهما وُقي أعظمَ الشرِّ.

٣٩٤٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

هذا حديث صحيح، أخرجه أحمد (٨٤١١)، والبخاري (٦٤٧٨).

٣٩٤٦- عَنْ بِلَالِ بْنِ الحَارِثِ المُزَنِيِّ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ وَمَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَمَا يَظُنُّ أَنَّها تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ».

حديث صحيح لغيره، أخرجه أحمد (١٥٨٥٢)، والترمذي (٢٣١٩)، وقال: حسن صحيح، وصححه ابن حبان (٢٨٠)، ويشهد له حديث أبي هريرة السابق، وانظر تمام تخريج الحديث والكلام عليه في «المسند».

٣٩٤٧- عن عَلقمة بن وقّاصٍ اللَّيثي أَنَّ بِلَالَ بْنَ الحَارِثِ المُزَنِيَّ قَالَ لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ تَدْخُلُ عَلى هَؤُلَاءِ الأُمَرَاءِ وَتَغْشَاهُمْ، فَانْظُرْ مَاذَا تُحَاضِرُهُمْ بِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنَ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا يَكْتُبُ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ».

فَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ: رُبَّ حَدِيثٍ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا سَمِعْتُ مِنْ بِلَالٍ.

هذا حديث صحيح، انظر ما قبله.

٣٩٤٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: أَظُنُّهُ رَفَعَهُ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ لِلِّسَانِ، وَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ، اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا».

أخرجه أحمد (١١٩٠٨)، والترمذي (٢٤٠٩)، وسندهُ حسن.

قوله: تُكفِّرُ، أي: تذِلُّ وتخضع.

٣٩٤٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ أُمَّتِي النَّارَ الأَجْوَفَانِ: الفَرْجُ وَالفَمُ».

هذا حديث حسن، وأخرجه أحمد (٧٩٠٧)، وفي إسناده داود بن يزيد الأودي ضعيف، لكنه لم ينفرد به، فقد رواه الترمذي (٢٠٠٥) في البر والصلة عن أبي كريب، عن عبد الله بن إدريس، عن أبيه إدريس بن يزيد الأودي، عن جده، عن أبي هريرة وقال: هذا حديث صحيح غريب، ورواه ابن ماجه (٤٢٤٦) في الزهد، وصحَّحه ابن حبان (٤٧٦). وتمامُ تخريجه في «المسند».

٣٩٥٠- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهنِيِّ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَقُلْتُ: مَا النَّجَاةُ؟ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلى خَطِيئَتِكَ».

حديث حسن، أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (١٣٤)، وأخرجه أحمد ضمن (١٧٣٣٤)، والترمذي (٢٤٠٨)، وفي سنده علي بن يزيد ضعيف، لكن رواه أحمد (١٧٤٥٢) من طريق إسماعيل بن عياش عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي، عن ذروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر بأطول من هذا. وهذا إسناد قوي فإن إسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده، وهذا منها، وفروة بن مجاهد اللخمي روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: كانوا لا يشكون أنه من الإبدال.

قوله: «امْلِكْ عليك لسانك» يقول: لا تُجْرِهِ إلا بما يكون لك لا عليك.

٣٩٥١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا».

حديث حسن، أخرجه أحمد (٦٤٨١)، وانظر تمام تخريجه فيه.

وسببُ النجاةِ أنَّ الكلام لا بُدَّ منه في الخَير، فإن تطرَّق إلى الشر فالصمتُ أولى. فليس الكلامُ مأموراً به على الإطلاق، ولا السكوتُ كذلك، بل لا بُدَّ من الكلام بالخير، والسكوت عن الشر. أفاده الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ١/ ٣٤١.

ونقل عن محمد بن عجلان قال: إنما الكلامُ أربعة: أن تذكرَ الله، وتقرأ القرآن، وتُسْألَ عن علمٍ فتُخبر به، أو تكلَّم فيما يعنيك من أمْرِ دنياك.

٣٩٥٢- عَن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِمَنْ يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ».

أخرجه أحمد (٢٠٠٢١)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والدارمي ٢/ ٢٩٦ بسندٍ حسن.

وفي الحديثِ: وعيدٌ شديدٌ لكلِّ من ابتذل نَفْسَه فجعل منها مهرِّجاً لإضحاك الناس، وهو الأمرُ الذي استطار شرره في زماننا هذا تحت ستار الفنون والتمثيل.

٣٩٥٣- وعن أبي هريرة عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «كَفَى بِالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» (٥).

قال ابن مسعود: إنْ كان الشُّؤم في شيءٍ، ففيما بينَ اللَّحيين يعني اللسان وما شيءٌ أحوج إلى سجنٍ طويلٍ من اللسان.

وقال: أنذِركم فضولَ الكلام، بحَسْبِ أحدِكم ما بلغَ حاجته، وقال: أكثرُ الناس خطأً يوم القيامة أكثرُهم خوضاً في الباطل.

وقال أبو الدَّرداء: لا خير في الحياة إلا لأحد رجُلين: صَموتٍ واعٍ، وناطقٍ عالم. وقال عبد الله بن مسعود: البلاء موكَّلٌ بالقول. وقال عبد الله ابن عمرٍو: الكلام بمنزلة العُطاس، قليله دواءٌ، وكثيره داءٌ.

باب

ترك الإنسان ما لا يعنيه

٣٩٥٤- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

حديث حسنٌ لغيره، وأخرجه الترمذي (٢٣١٨)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وفي سنده قرة بن عبد الرحمن بن حيوئيل، وثقه قوم، وضعفه آخرون، وقال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً جداً، وأرجو أنه لا بأس به، وقال ابن عبد البر: هذا الحديث محفوظ عن الزهري بهذا الإسناد من رواية الثقات، وهذا موافق لتحسين الإمام النووي رحمه الله له في «الأربعين». وصحَّحه ابن حبان (٢٢٩)، وانظر تمام تخريجه فيه.

٣٩٥٥- عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

إسناده صحيح لكنه مرسلٌ، أخرجه مالك ٢/ ٤٧٠.

وقال قتادةُ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿والذين هم عنِ اللَّغو مُعرضون﴾ [المؤمنون: ٣] قال: أتاهم والله من أمر الله ما وَقذَهم عن الباطل. قوله: وَقذَهم أي: سَكَّنَهم، يقال: وقذَه الحِلْمُ: إذا سكَّنه، وقالت عائشةُ تصِف

أباها: وكان وقيذَ الجوانحِ، تريد: محزونَ القلبِ، كأن الحُزنَ قد ضَعَّفه وكسره.

وليس المراد: أنه يترك ما لا عنايةَ له ولا إرادة بحكم الهوى وطلبِ النَّفْس، بل بحكم الشَّرْع والإسلام، فإذا حَسُنَ إسلامُ المَرْءِ، ترك ما لا يعنيه في الإسلام من الأفعال، فإنَّ الإسلامَ يقتضي فِعْلَ الواجبات... ويقتضي ترك ما لا يعني من المحرَّمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يُحتاج إليها، فإن هذا كلّه لا يعني المسلمَ إذا كمل إسلامُه، أفاده ٱبن رجب في «جامع العلوم» ١/ ٢٨٨.

باب

الرِّياءِ والسمعة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [النساء: ٣٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وَقِيلَ فِي تَفْسيرِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أيْ: إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللهِ. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ في قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠] قَالَ: أَصْحَابُ الرِّيَاءِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ﴾ [الروم: ٣٩]. قَالَ: مَا أَعْطَيْتُمْ مِنْ عَطِيَّةٍ لِتُثَابُوا عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا، فَلَيْسَ فِيهَا أَجْرٌ.

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١١] أَيْ: لَا يَعْبُدْ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَا يَعْمَلْ عَمَلاً فِيهِ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ، وَلَا يَكْتَسِبِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ.

٣٩٥٦- عن سَلمةَ هو ابن كُهَيْلٍ قال: سَمِعْتُ جُنْدُباً يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

قوله: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به» يريد: مَنْ عمِلَ عملاً على غير إخلاصٍ، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه.

وقوله: «سَمَّع اللهُ به» يريد: يجازيه على ذلك بأن يَشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يُسِرُّهُ من ذلك.

٣٩٥٧- عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي العِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

محمود بن لبيد رأى النبي ﷺ وهو صغيرٌ.

أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، وإسناده قوي، وجوَّد إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب».

وفي الحديث من الفقه: التحذيرُ من الرياء، والحثُّ على الإخلاص، وهو كما قال الهروي في «منازل السائرين»: تصفيةُ العملِ من كلِّ شَوْب. وشرحه

آبن القيم في «مدارج السالكين» ٢/ ٩٣ بقوله: أي لا يمازجُ عملَه ما يشوبُه من شوائب إرادات النفس: إما طلبُ التزين في قلوب الخلق، وإما طلبُ مَدْحِهم، والهرب من ذمِّهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عَقْدُ متفرقاتها: إرادةُ ما سوى الله بعمله، كائناً مَنْ كان.

٣٩٥٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: إِنِّي أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرِيكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ هوَ لِلَّذِي عَمِلَهُ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، وآبن ماجه (٤٢٠٢).

والمرادُ: أن عَمَلَ المرائي باطل لا ثوابَ فيه، ويأثم به. وقد تكلم الحافظ آبن رجب كلاماً نبيلاً جليلاً على أقسام الرياء في «جامع العلوم والحكم» ١/ ٧٩.

٣٩٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً، فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ».

وإسناده صحيح، وهو بمعنى ما قبله.

ويُروى مرفوعاً «لا أجر لمن لا حِسْبَة له» ولا يصحُّ، والصواب أنه مرسلٌ من حديث القاسم بن عبد الرحمن، أخرجه آبن المبارك في «الزهد» (١٥٢).

وقال الحَسن: أَعِزَّ أمرَ اللهِ، يُعِزَّكَ اللهُ.

٣٩٦٠- عن عمرو بن مُرَّةَ قال: حدثنا رجلٌ في بيتِ أبي عُبيدةَ أنه سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ

يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ أَسَامِعَ خَلْقِهِ وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ» فَذَرَفَتْ عَيْنَا ابْنِ عُمَرَ.

أخرجه أحمد (٦٥٠٩) بإسنادٍ صحيح، والرجل المبهم هو خيثمة بن عبدالرحمن كما ذكره الطبراني في «الكبير» فيما ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٢٢٢.

يقال: سمَّعتُ بالرجل تسميعاً: إذا شهرته.

وقوله: «أسامِعَ خَلقِه» هي جمع أسمع، يقال سمعٌ وأسمعٌ وأسامعُ جمعُ الجمعِ. يريد أن الله سبحانه وتعالى يُسمِّع أسماعَ خلقه به يوم القيامة، ويحتمل أن يكون أراد به أن الله سبحانه وتعالى يُظهِر للناس سريرته، ويملأ أسماعهم بما ينطوي عليه من خُبث السرائر جزاءً لفعله كما قال عليه السلام: «مَنْ تتبَّعَ عَوْرَاتِ المسلمين، تتبع الله عورته حتى يفضحه»، أحمد (١٩٧٧٦)، وأبو داود (٤٨٨٠) وغيرهما.

ويروى «سَمَّعَ اللهُ به سامِع خَلقِه» مرفوعاً، فيكون السامِعُ من نَعْتِ الله عز وجل يريد: سَمَّعَ الله الذي هو سامع خَلقهِ يعني: يفضحه الله.

قال أبو هريرة: تعوَّذوا بالله من خشوع النِّفاق، قيل: ما هو؟ قال: أنْ يُرى الجَسدُ خاشعاً، والقلب ليس بخاشعٍ.

بابُ

من عمل لله فحمد عليه

٣٩٦١- عن أبي عمران الجَوْنيِّ قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا رَسُولَ اللهِ الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ، وَيُحِبُّهُ النَّاسُ، قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ».

٣٩٦٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ للهِ يُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ ﷺ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٦٤٢)، وابن ماجه (٤٢٢٥).

ومعنى الحديث: أنَّ هذه البشرى معجِّلةٌ له بالخير، وهي دليلٌ على رضوان الله تعالى عليه، ومحبَّته له، فيُحبِّبه إلى الخلق، ثم يوضع له القَبولُ في الأرض، وهذا كلُّه إذا حَمِدَهُ الناسُ من غير تعرُّضٍ منه لحمدهم، وإلَّا فالتعرض مذموم.

٣٩٦٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَا أَنَا فِي بَيْتِي فِي مُصَلَّايَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ، فَأَعْجَبَنِي الحالُ الَّتِي رَآنِي عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَكَ اللهُ أَبَا هُرَيْرَةَ لَكَ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ العَلَانِيَةِ».

في إسناده سعيد بن بشير ضعيفٌ يُعْتَبَرُ به، وقد تابعه حبيب بن أبي ثابت عند الترمذي (٢٣٨٤)، وابن ماجه (٤٢٢٦)، وابن حبان (٣٧٥).

وفسَّر بعضُ أهْلِ العلم هذا الحديث، فقال: فأعجبه: معناه: أنْ يُعجِبه ثناءُ الناس عليه، كقول النبيِّ ﷺ فيما أخرجه مسلم (٩٤٩) «أنتم شهداء الله» أما إذا أعجبه ليُعلمَ منه الخيرُ ويُعظَّمَ عليه، فهو رياءٌ، وقيل: معناه: فأعجبه رجاءَ أن يعملَ من رآه بمثل عمله، فيكون له مثلُ أجره. هذا معنى قول عبد الرحمن بن مهدي قال: إنما يُسَرُّ ليستنَّ به مَنْ بعده. قال أبو عُبيدٍ: وليس للحديث عندي وجهٌ إلا ما قال عبد الرحمن، لأن الآثارَ كلَّها تُصدِّقه، من ذلك الحديث المرفوع: «مَنْ سَنَّ سُنةً حسنةً كان له أجر مَنْ عمِل بها»، أخرجه مسلم (١٠١٧) ومما يوضِحُ ذلك حديثٌ آخرُ: أنَّ رجلاً قام من الليل يصلِّي فرآه جارٌ له فقام يُصلِّي، فغُفِرَ للأوَّل.

بابُ

من يريد الدنيا بعمله

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حرْثَ الدُّنْيَا نؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ [هود: ١٥ و١٦] قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هٰذِهِ الآيَةِ: أَهْلُ الرِّيَاءِ أَهْلُ الرِّيَاءِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هٰذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران: ١١٧] قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ أَيْ: بَرْدٌ شَدِيدٌ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾ [القمر: ١٩] أَيْ: شَدِيدَةَ البَرْدِ.

٣٩٦٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الآخِرَةِ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا، وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيَا، جَعَلَ اللهُ الفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَلَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ».

أخرجه الترمذي (٢٤٦٧) وفي إسناده يزيد الرقاشي ضعيف. ولكن للحديث شاهدٌ يتقوَّى به من حديثِ زيد بن ثابت بنحوه، أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥)،

وأحمد (٢١٥٩٠) وسنده صحيح، وصحَّحه البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٣/ ٢٧١.

٣٩٦٥- عن شُفَيٍّ الأصْبَحِي: أَنَّهُ دَخَلَ المدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قدِ اجْتَمَعَ عَلَيهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هٰذَا؟ فَقَالُوا: أبُو هُرَيْرَةَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلاَ، قُلْتُ لَهُ: نَشَدْتُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَني حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ فَقَالَ أبُو هُرَيْرَةَ: أفْعَلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثَ قَلِيلاً، ثُمَّ أفَاقَ، فَقَالَ: لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هٰذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى، فَمَكَثَ كَذلِكَ، ثُمَّ أفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أفْعَلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أنَا وَهُوَ فِي هٰذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارّاً عَلى وَجْهِهِ، وَأسْنَدْتُهُ طَوِيلاً، ثُمَّ أفَاقَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعالَى إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِىء: ألَمْ أُعلِمكَ مَا أنْزَلْتُ عَلى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أرَدْتَ أنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: ألَمْ

أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أدَعْكَ تَحْتَاجُ إلَى أحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أصِلُ الرَّحِمَ، وَأتَصَدَّقُ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أرَدْتَ أنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذلِكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ لَهُ؟ فِيمَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أمَرْتَ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أرَدْتَ أنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذلِكَ» ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى رُكْبَتَيَّ، فَقَالَ: «يَا أبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَلاَثَةُ أوَّلُ خَلْقٍ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

قَالَ الوَلِيدُ أبُو عُثْمَانَ: فَأخْبَرَنِي عُقْبَةُ أنَّ شُفَيّاً هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلى مُعَاوِيَةَ فَأخْبَرَهُ بِهٰذَا، فَقَالَ أبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي العَلاَءُ بْنُ أبِي حَكِيمٍ أنَّهُ كَانَ سَيَّافاً لِمُعَاوِيَةَ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَحَدَّثَهُ بِهٰذَا الحَدِيثِ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهؤُلاَءِ هٰذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيداً حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ هَالِكٌ، فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ جَاءَنَا هٰذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) بإسنادٍ حسن، وصحَّ من غير هذه الطريق عن أبي هريرة عند مسلم (١٩٠٥)، وأحمد ١٤/ ٢٩، وصحَّحه ابن حبان (٤٠٨).

قوله: نَشَغَ، النشغُ: الشهيقُ حتى يكادَ يَبْلُغُ به الغشيَ، يقال: نَشَغَ يَنْشَغُ نَشغاً، وإنما يفعله الإنسانُ شَوقاً إلى صاحبه، وأسفاً عليه.

وفي الحديثِ: دليلٌ على تغليظ تحريم الرِّياءِ وشدَّة عقوبته، وعلى الحثِّ على وجوبِ الإخلاصِ في الأعمالِ كما قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلّا ليعبدوا اللهَ مخلصين له الدين﴾ [البينة: ٥].

وفيه: أنَّ العموميات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كلُّه محمولٌ على مَنْ فعل ذلك لله تعالى مخلصاً. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٧/ ٥٩.

٣٩٦٦- عَنْ أُبيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هٰذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ».

انظر الحديث التالي.

٣٩٦٧- عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَشِّرْ هذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّناءِ وَالرِّفْعَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ».

أخرجه أحمد (٢١٢٢٢) بسندٍ قوي، وصححه ابن حبان (٤٠٥) وفيه تمام تخريجه.

وقال أبو الدَّرداء: إنَّ أخوف ما أخاف إذا وُقِفتُ على الحساب أن يُقال لي: قد عَلِمْتَ فما عملتَ فيما علِمْتَ؟

وقال: إنَّ من شرِّ الناس منزلةً عند الله يوم القيامة عالمٌ لا ينتفع بعلمه.

قال إسماعيل بن أبي أُوَيْس: سمعتُ خالي مالك بن أنس يقول: قال لي ربيعة الرأي قال: وكان أستاذَ مالكٍ: يا مالكُ مَنِ السَّفَلَةُ؟ قال: قلتُ: مَنْ

أكلَ بدينه، قال: فقال لي مَنْ سَفِلةُ السَّفلةِ؟ قال: قلت: مَنْ أصلحَ دنيا غيره بفساد دينه. قال: فصدَّرني.

بابُ

إماطة الأذى عن الطريق

قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أعْلاَهَا شَهَادَةُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ، وَأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ».

متفق عليه.

٣٩٦٨- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلى الطَّرِيقِ فأَخَّرَه، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغُفِرَ لَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٢٤٧٢)، ومسلم (١٩١٤).

وفيه: أنَّ قليل الخير قد يحصلُ به الأجر الكثير، وفضيلةُ إماطةِ الأذى عن الطريق.

٣٩٦٩- عَنْ أبِي بَرْزَةَ الأسْلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: دُلَّنِي عَلى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ قَالَ ﷺ: «أمِطِ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٦١٨).

بابُ

ثوابِ من عمل حسنةً أو همَّ بها

٣٩٧٠- عن همام بن مُنبِّهٍ قال: حَدَّثَنَا أبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأنْ يَعْمَلَ

حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَتِ المَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ ذَاكَ عَبْدٌ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا، فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا، فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّهُ تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا، تُكْتَبُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٧٠٥١)، ومسلم (١٢٩).

قوله: «إلى سبع مئة» هو من باب التكثير والتضعيف لا مِن باب حصرِ العدد، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنبتت سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سنبلة مئةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] وكذلك قولُه عز وجل: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرُ لهم سَبْعِينَ مَرَّةً فلن يَغْفِرَ اللهُ لهم﴾ [التوبة: ٨٠] لم يُرِدْ أنه عليه السَّلامُ إنْ زاد على السبعين غَفر لهم، ولكن معناه: فإن استكثرتَ مِن الدعاءِ للمنافقين والاستغفارِ لهم، لم يغفر الله لهم، والعرب تضع التسبيع موضعَ التضعيف، وإن جاوز السبع. حُكي أنَّ أعرابياً أعطاه رجلٌ درهماً، فقال: سَبَّع اللهُ له الأجرَ. أرادَ التضعيف.

٣٩٧١- عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَعْمَلُ الحَسَنَاتِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ

دِرْعٌ ضَيِّقَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً فَانْفَكَّتْ حَلْقَةٌ، ثُمَّ عَمِلَ أُخْرَى، فَانْفَكَّتْ أُخْرَى حَتَّى يَخْرُجَ».

إسناده حسن، أخرجه أحمد (١٧٣٠٧).

بابُ

التقوى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وَقَالَ عَطَاءٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ﴾ [الحج: ٣] قَالَ: المَعَاصِي. مَعْنَاهُ: وَمَنْ يُعَظِّمْ مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَجْتَنِبَهُ، وَقِيلَ: حُرُمَاتِ اللهِ، يَعْنِي: فُرُوضَهُ، وَالحُرْمَةُ: مَا وَجَبَ القِيَامُ بِهِ، وَحَرُمَ التَّفْرِيطُ فِيهِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] أَيْ: لَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَا يَعُدُّ لَكُمْ بِهِ ثَوَابهُ إِلَّا التَّقْوَى.

وَقَالَ الحَسَنُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]. قَالَ: الحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا: العِلْمُ وَالعِبَادَةُ، وَالحَسَنَةُ فِي الآخِرَةِ: الجَنَّةُ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِن اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ. هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣] أَيْ: ذَوُو دَرَجَاتٍ، أَيْ: طَبَقَاتٍ فِي الفَضْلِ.

٣٩٧٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه مسلم (٢٥٦٤)، وابن ماجه (٤١٤٣) وغيرهما.

ورُوِيَ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «التقوى ها هنا» ويشير إلى صدره. أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

قال مُطرِّف بن عبد الله: ليعْظُمْ جلالُ الله في صدوركم، فلا تذكروه عندَ مثلِ قولِ أحدكم للكلب: اللهم أخزه، وللحمار والشاة. وقال: لأن أبيتَ نائماً، وأصبحَ نادماً أحبُّ إليَّ مِن أن أبيت قائماً وأصبحَ معجباً.

قال عمر بن عبد العزيز: التقيُّ مُلجَمٌ لا يفعل كُلَّ ما يريد.

بابُ

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي صِفَةِ المُؤْمِنِينَ: ﴿يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧٢]. وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

واعلم أنَّ هذا الباب كما يقول الإمام الغزالي في «الإحياء» ٢/ ٣٣٣: هو القُطبُ الأعظمُ في الدين، وهو المهمُّ الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوِيَ بساطُه وأُهملَ عِلْمُه وعملُه لتعطّلت النبوة واضمحلَّت الديانة وعمَّت الفترةُ وفشت الضلالة. وقد عقد له الغزالي باباً عظيم النفع في «الإحياء» وأفرده بالتصنيف طائفة منهم: أبو بكر الخلال وعبد الرحمن بن أبي بكر بن

داود الدمشقي كلاهما من أعيان الحنابلة، وانظر «الآداب الشرعية» ١/ ١٧٩.
وللإمام العزّ ابن عبد السلام كلامٌ نفيس في كتابه «قواعد الأحكام».

٣٩٧٣- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الوَاقِعِ فِي حُدُودِ اللهِ وَالمُدَاهِنِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا فِي السَّفِينَةِ، فَاسْتَهَمُوا عَلَيْهَا، فَرَكِبَ قَوْمٌ عُلْوَهَا وَرَكِبَ قَوْمٌ سُفْلَهَا، وَكَانُوا إِذَا اسْتَقَوْا، آذَوْهُمْ وَأَصَابُوهُمْ بِالمَاءِ، فَقَالُوا: إِنكُمْ قَدْ آذَيْتُمُونَا مِمَّا تَمُرُّونَ عَلَيْنَا، فَأَعْطَوْا رَجُلاً فَأْساً، فَنَقَبَ عِنْدَهُمْ نَقْباً، قَالُوا: مَا هٰذَا الَّذِي تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: تَأَذَّيْتُمْ بِنَا، فَنَنْقُبُ عِنْدَنَا نَقْباً نَسْتَقِي مِنْهُ، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ، هَلَكُوا وأَهْلَكُوا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلى أَيْدِيهِمْ، نَجَوْا وَنَجَوْا».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٦٨٦)، وأحمد (١٨٣٦١) وغيرهما.

قوله: «والمداهِن». والمداهَنة والإدْهان: المقاربة في الكلام والتليين، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ودُّوا لوْ تُدْهِنُ فيُدْهِنونَ﴾ [القلم: ٩] أي: تلينُ لهم فيلينون لك، وقال الحسن: لوْ تُصانِعُهم في دينك، فَيُصانعون في دينهم، وقيل: لو تكفُرُ فيكفرون، كما قال في موضعٍ آخر: ﴿ودُّوا لو تكفرون كما كَفَرُوا﴾ [النساء: ٨٨] وقيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أفبهذا الحديثِ أنتم مُدهنون﴾ [الواقعة: ٨١] أي: كافرون.

والاستهام: الاقتراعُ. وفيه إثبات القُرْعَة في سُكنى السفينة ونحوها من المنازل التي ينزلها أبناءُ السبيل إذا جاؤوا معاً، فإن سبق واحدٌ، فهو أحقُّ.

وفيه أيضاً: استحقاقُ العقوبةِ بترك الأمرِ بالمعروف لقوله: «هلكوا وأهلكوا».

وفيه: تبيين العالِم الحكمَ بضَرْبِ المثل ووجوبُ الصبر على أذى الجارِ إذا خُشي وقوعُ ما هو أشدُّ ضرراً، وأنه ليس لصاحبِ السُّفْلِ أن يُحْدِثَ ما يضر بصاحبِ العُلُوِّ.

٣٩٧٤- عن الشعبي قال: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ عَلى المِنْبَرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَلى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قَوْماً رَكِبُوا البَحْرَ فِي سَفِينَةٍ، فَاقْتَسَمُوهَا، فَأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مَكَاناً، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمُ الفَأْسَ، فَنَقَرَ مَكَانَهُ، فَقَالُوا: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: مَكَانِي أَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتُ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلى يَدَيْهِ، نَجَوْا وَنَجَا، وَإِنْ تَرَكُوهُ، غَرِقَ وَغَرِقُوا» فَخُذُوا عَلى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكُوا.

انظر ما قبله.

٣٩٧٥- عن قيس بن أبي حازم قال: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هذِهِ الآيَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَراً، فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ».

إسناده صحيح، أخرجه أحمد (١)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والبزار (٦٥)، وصحَّحه ابن حبان (٣٠٤).

وروي عن عبد الله بنِ مسعود عن رسولِ الله ﷺ قال: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتم علماؤُهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم، فضربَ اللهُ قلوبَ بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى

ابن مريم. قال: فجلس النبي ﷺ وكان مُتَّكِئاً، فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تَأطِرُوهُم أطْراً» أي: تعطِفوهم عطفاً. وهذا حديثٌ ضعيفُ الإسناد لانقطاعه، فإن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود، وأخرجه أحمد (٣٧١٣)، والترمذي (٣٠٤٧) وغيرهما، وتمام تخريجه في «المسند».

٣٩٧٦- عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ».

حسن لغيره، أخرجه أحمد (٢٣٣٠١)، والترمذي (٢١٦٩) وفي سنده عبدالله بن عبدالرحمٰن الأنصاري الأشهلي لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وقال الترمذي: هٰذا حديث حسن، وله شاهد ضعيف من حديث عائشة عند ابن ماجه (٤٠٠٤).

وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تقتلوا إمامَكم، وتجتلِدُوا بأسيافكم، ويَرِثَ دنياكم شرارُكم» أخرجه أحمد (٢٣٣٠٢)، والترمذي (٢١٧١)، وابن ماجه (٤٠٤٣)، وقال الترمذي: حديث حسن!

وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ أسعدَ الناسِ بالدنيا لُكعُ بنُ لكع».

أخرجه أحمد (٢٣٣٠٣)، والترمذي (٢٢٠٩)، وابن ماجه (٤٠٤٣) وقال الترمذي: حديث حسن.

أراد: العبيدَ والسَّفِلة، ويقال للأمةِ: اللّكاع، كما يقال غُدَرٌ وغَدَارِ من الغَدْرِ.

٣٩٧٧- عن عدي بن عُميرة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ العَامَّةَ بِعَمَلِ الخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا المُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ،

وَهُمْ قَادِرُونَ عَلى أنْ يُنْكِرُوهُ، فَلاَ يُنْكِرُوهُ فَإذَا فَعَلُوا ذلِكَ، عَذَّبَ اللهُ العَامَّةَ وَالخَاصَّةَ».

حسن لغيره، أخرجه أحمد (١٧٧٢٠)، وابن المبارك في «الزهد» (١٣٥٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١٧٥) وفيه مجهول. وللحديث شواهد يتقوى بها، انظر ما في «المسند».

وقال علي بن أبي طالب على المنبر: واللهِ لتجدُنَّ في أمر الله، ولتقاتِلُنَّ على طاعة الله، أو ليسوسنَّكم أقوامٌ أنتم أقربُ إلى الحقِّ منهم، فليُعذِّبَنَّكم، ثم ليعذبنَّهم الله عز وجل.

٣٩٧٨- عن عمرو بنِ جارية اللَّخمِيِّ حَدَّثَنَا أبُو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيُّ قَالَ: أتَيْتُ أبَا ثَعْلَبَةَ الخُشنِيَّ فَقُلْتُ: يَا أبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَصْنَعُ فِي هٰذِهِ الآيَةِ؟ قَالَ: أيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٨] فَقَالَ: أمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيراً، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ حَتَّى إذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً، وَهَوىً مُتَّبَعاً، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أمْراً لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ، وَدَعْ أمْرَ العَوَامِّ، فَإنَّ وَرَاءَكُمْ أيَّامَ الصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ فِيهِنَّ، قَبَضَ عَلى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ» وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» يَقُولُ ابْنُ المُبَارَكِ: وَزَادَنِي غَيْرُهُ. قِيلَ: الشُّحُّ المُطَاعُ: هُوَ أنْ يُطِيعَهُ صَاحِبُهُ فِي مَنْعِ الحُقُوقِ الَّتِي أوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْهِ.

أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١١٧١) و(١١٧٢)، وفي سنده: عمرو بن جارية وأبو أمية الشعباني لم يوثقهما غير ابن حبان. ولبعضه شواهدُ تقويه، منها ما أخرجه أحمد (٦٥٠٨)، والطحاوي في «شرح المشكل» ٣/ ٢٢٠، وأبو داود (٤٣٤٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا بقيت في حُثالةٍ من الناس؟» قال: قلت: يا رسول الله كيف ذلك؟ قال: «إذا مرجت عهودهم وأماناتهم وكانوا هكذا» وشبك أحد الرواة بين أصابعه يصف ذلك، قال: قلت: ما أصنع عند ذلك يا رسول الله؟ قال: «اتق الله عز وجل، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصتك، وإياك وعوامهم» وإسناده حسن، وصححه الحاكم ٤/ ٤٣٥ و٥٢٥، ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري والعراقي، وأخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة (٥٩٥٠).

ومنها ما أخرجه ابن نصر في «السنة» ص٩ من حديث عتبة بن غزوان أخبرني مازن بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال: «إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بل منكم» ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، وله شاهد من حديث ابن مسعود، أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٩٤).

وقد ذهب الطحاوي ٣/ ٢١٥ إلى ظاهرِ هذا الحديث، وأنَّ الآثار تحثُّ على الأمرِ والنهي حتى يكون الزمانُ الذي ينقطع ذلك فيه، وهو الزمانُ الذي وصفه رسولُ الله ﷺ في حديث أبي ثعلبة الذي لا منفعةَ فيه بأمرٍ بمعروفٍ، ولا بنَهْيٍ عن المنكر، ولا قوَّةَ مع مَنْ ينكره على القيامِ بالواجب في ذلك فسقط الفرضُ عنه فيه، ويرجعُ أمرُهُ فيه إلى خاصةِ نَفْسِه، ولا يضره مع ذلك من ضَلَّ.

٣٩٧٩- عَنْ أَبِي البَخْتَرِيِّ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ».

أخرجه أحمد (١٨٢٨٩)، وأبو داود (٤٣٤٧) بسندٍ صحيح.

قوله: حتى «يَعذِروا» أي: يُكثِروا ذنوبهم، ويستوجبوا العقوبة، فيكون لمن يعذبهم العُذْر، يقال: أعذَرَ الرجل إعذاراً: إذا صار ذا عيْبٍ وفسادٍ، وقال بعضهم: عَذَرَ يَعذِرُ بمعناه، وهو كالحديث الآخر: «لن يهلِك على الله إلا هالك»، أخرجه مسلم (٢٠٨).

قال أبو عُبيدٍ في «غريب الحديث» ١/ ٨٥: ويقال في غير هذا المعنى: أعذَرْتُ في طلب الأمر: إذا بالغتَ فيه، وعذرْتُ: إذا قصَّرتَ ولم تبالغ، وأعذرت الغلامَ وعذَرْته لغتان، ومعناهما: الخِتان، وعذَرتُه: إذا غَمَزْتَ عَذْرَتَـهَ، وهي وَجعٌ في الحَلْقِ.

وعن أبي سعيد الخدريِّ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رأى منكم منكراً، فليغيرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يَستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، أخرجه مسلم (٤٩)، وأحمد (١١٠٧٣/ أ)، وابن حبان (٣٠٦)، وبسط الكلام عليه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم» ٢/ ٢٤٣.

وقال ابن مسعود: جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا فبألسنتكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكْفَهِرُّوا في وجوهكم، فاكْفهِرُّوا.

قال بلال بن سعدٍ: إن المعصية إذا أخفِيتُ، لم تضرَّ إلا صاحبها، فإذا أُعلِنتْ، فلم تُغيَّرْ، ضرَّت العامَّةَ.

وقال سفيان عن منصور عن إبراهيم: كانوا إذا رأوا الرجل لا يحسِنُ الصلاة علّموه، قال سفيان: أخشى أن لا يَسعَهم إلا ذلك.

بابُ

وعيد من يأمر بالمعروف ولا يأتيه

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَاراً عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] أَيْ: لَسْتُ أَنْهَاكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَأَدْخُل فِيهِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ: العَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الكَلَامَ الطَّيِّبَ إِلَى اللهِ، فَإِذَا كَانَ كَلَامٌ طَيِّبٌ وَعَمَلٌ سَيِّءٌ، رُدَّ القَوْلُ عَلى العَمَلِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قَالَ: يَرْفَعُ اللهُ العَمَلَ الصَّالِحَ لِصَاحِبِهِ.

٣٩٨٠- عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قِيلَ لِأُسَامَةَ: لَوْ أَتَيْتَ فُلَاناً، فَكَلَّمْتَهُ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا سِمْعَكُمْ أَنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَاباً لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُول لِرَجُلٍ إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيراً: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ! مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

وقال شُعبةُ عن الأعمش: فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه.

قوله: «لا أكلِّمُهُ إلا سِمْعَكُمْ» أي: بحيث تسمعون بكسر السِّين.

قوله: «تندَلِقُ أقتابُه» أي: تَخرُج أمعاؤه. فالاندلاق: خروج الشيء من مكانه، وكل شيء بَدَرَ خارجاً، فقد اندلق، يقال: اندلق السيفُ من الغمد: إذا شقَّه فخرج منه، والأقتاب: الأمعاء، قاله الأصمعيُّ، واحدها: قِتبة، وقال الكسائي: واحدها قِتبٌ، وقال أبو عُبيدة: القتبُ ما تحوَّى في البطن يعني استدار وهي الحَوايا، فأما الأمعاء، فإنها الأقصاب، واحدها قُصبٌ. قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «رأيتُ عمرو بن عامر الخزاعيَّ يجرُّ قُصْبَه في النار، وكان أول من سيَّب السوائب» أخرجه البخاري (٣٥٢١).

وفي الحديثِ من الفقه: التحذيرُ والوعيدُ الشديد للمخالفة بين القَوْلِ والعمل.

وفيه كما قال النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٣٤٥: الأدبُ مع ولاةِ الأمرِ ووعظُهم سِرّاً، وتبليغهم ما يقول الناسُ فيهم، لينكفوا عنه، فإن لم يمكن الوعظُ سِرّاً والإنكار فليفعله علانيةً لئلّا يضيعَ أصْلُ الحقِّ.

٣٩٨١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَنْ هؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هؤلاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ».

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه أحمد (١٢٢١١)، وابن حبان (٥٣).

بابُ

وعيدِ الظالم

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٤] أَيْ: لَا تَمِيلُوا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٤] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾ الآية [النمل: ٥٠]. وَالمَكْرُ مِنَ اللهِ: هُوَ اسْتِدْرَاجُهُمْ مِنْ حَيثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوصَفُ بِالمَكْرِ، وَلَا يُوصَفُ بِالاحْتِيَالِ، لِأَنَّ المُحْتَالَ مَنْ يُقَلِّبُ الفِكْرَةَ لِيَهْتَدِيَ إِلَى وَجْهِ مَا يُرِيدُ، وَالمَاكِرُ الَّذِي يَسْتَدْرِجُ، فَيَأْخُذُ مِنْ وَجْهِ غَفْلَةٍ مِنَ المُسْتَدْرَجِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. وَسُئِلَ ثَابِتٌ البُنَانِيُّ عَنِ الاسْتِدْرَاجِ؟ فَقَالَ: مَكْرُ اللهِ بِالعِبَادِ المُضَيِّعِينَ، وَقِيلَ: هُوَ الأَخْذُ عَلَى غِرَّةٍ. وَقَالَ سُفْيَانُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَالَ: يُسْبِغُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ، وَيَمْنَعُهُمُ الشُّكْرَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: كُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْباً أُحْدِثَتْ لَهُمْ نِعْمَةٌ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَيُرْسَلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٣٥-٤١] أَيْ: عَذَاباً، قَالَ الأَزْهَرِيُّ: الحُسْبَانُ المَرَامِيُّ الصِّغَارُ، شَبَّهَ مَا يُرْسِلُ اللهُ

عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاء مِنْ بَرَدٍ، أوْ حِجَارَةٍ بِالحُسْبَانِ، وَقِسِيُّ الحُسْبَانِ مَعْرُوفَةٌ.

وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠١] أيْ: مِنْهَا بَادٍ يُرَى، وَحَصِيدٌ قَدْ ذَهَبَ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أثَرٌ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً﴾ أيْ: حُصِدُوا بِالسَّيْفِ وَالمَوْتِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢] أيْ: لَا أنِيسَ فِيهَا، يُقَالُ: خَوَتِ الدَّارِ تَخْوِي خِوَايَةً وَخَوَاءً، وَخَوِيَ الرَّجُلُ، فَهُوَ خَوٍ: إذَا خَلاَ جَوْفُهُ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ أعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٧] هِيَ الَّتِي انْقَلَعَتْ مِنْ أُصولِهَا، فَخَوَى مِنْهَا مَكَانُهَا، أيْ: خَلاَ، وَالخَوَاءُ: المَكَانُ الخَالي، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥] أيْ: اسْتَأْصَلَ اللهُ شَأْفَتَهُمْ، وَدَابِرُهُمْ: أصْلُهُمْ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فمِنْ نَفْسِكِ﴾ [النساء: ٧٨] أيْ: مَا أصَابَكَ مِنْ أمْرٍ يَسُوؤُكَ فَمِنْ ذَنْبٍ أذْنَبَتْهُ نَفْسُكَ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدّاً﴾ [مريم: ٧٥]. لَفْظُهُ أمْرٌ، وَمَعْنَاهُ الخَبرُ، وَتَأْوِيلُهُ: أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ جَزَاءَ ضَلاَلَتِهِ أنْ يَمُدَّهُ فِيهَا، وَإذَا جَاءَ الخَبَرُ فِي لَفْظِ الأمْرِ كَانَ أوْكَدَ وَألْزَمَ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأرْضَ مِنْ بَعْدِ أهْلِهَا أنْ لَوْ نَشَاءُ أصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ٩٩] أيْ: لَمْ نُبَيِّنْ

لَهُمْ وِرَاثَتَهُمُ الأَرْضَ عَنِ القَوْمِ المُهْلَكِينَ إِنَّا لَوْ نَشَاءُ، أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مَنْ وَرِثُوا أَرْضَهُ.

٣٩٨٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

قال ابن الجوزي رحمه الله: الظلم يشتمل على معصيتين: أخْذُ مال الغير بغير حقٍّ، ومبارزةُ الربِّ بالمخالفة. والمعصيةُ فيه أشدُّ من غيرها، لأنه لا يقع غالباً إلّا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنَّما ينشأ الظلم عن ظلمةِ القلب، لأنه لو استنار بنورِ الهدى لاعْتَبَرَ، فإذا سعى المتَّقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى، اكتنفت ظلماتُ الظلمِ الظالمَ حيث لا يُغني عنه ظُلْمُه شيئاً. نقله الحافظ في «الفتح» ٥/ ١٠٠.

٣٩٨٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

قيل: الشُحُّ: هو الحِرْصُ الشديدُ الذي يحمله على ارتكاب المحارم من سَفْك الدماء، وأكل الرِّبا، وأخْذِ الحرام، وإتيانِ الفواحش كما جاء في الحديث «حَمَلهم على أن يسفِكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم».

وعن عبد الله بن عمرو أنَّ النبي ﷺ قال: «إيَّاكم والشُحّ، فإنه أهلك مَن كان قبلكم، أمرهم بالبُخل فبخلوا، وأمرهم بالفُجور ففجروا»، أخرجه أبو داود (١٦٩٨)، والحاكم ١/ ١١ بسندٍ صحيح.

وجاء رجلٌ إلى عبد الله بن مسعود فقال: إني أخاف أنْ أكونَ قد أُهلِكْتُ، فقال: ما ذاك؟ قال: أسمعُ اللهَ يقول: ﴿وَمَنْ يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩] وأنا رجل شحيحٌ لا يكاد أن يخرج من يدي شيءٌ، فقال عبد الله: ليس ذلك بالشُحّ الذي ذكر اللهُ، إنما الشُحُّ أن تأكل مالَ أخيك ظُلماً، ولكن ذاك البخل، وبئس الشيء البُخل.

وقال سعيدُ بنُ جُبير: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه﴾ قال: الشُحَّ إدخالُ الحرام، ومنعُ الزكاة.

٣٩٨٤- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ الظَّالِمَ، فَإِذَا أَخَذَهُ، لَمْ يَفُتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٤٦٨٦) عن صدقة بن الفضل، وأخرجه مسلم (٢٥٨٣) عن محمد بن عبد الله بن نُمَير، كلاهما عن أبي معاوية، وقالا: «لمْ يُفْلِته» أي: لمْ ينفلِت منه.

٣٩٨٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ عِرْضٍ أَوْ مَالٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ تُؤْخَذَ مِنْهُ يَوْمَ لَا دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

قوله: «فليتحلَّلْهُ» أي: ليسأله أن يجعله في حلٍّ من قِبَلِه، يقال: تحلَّلتُه واستحللتُه: إذا سألتَه أن يجعلك في حِلٍّ، ومعناه: أن يَقطع دعواه وَيترك مَظلمته، فإن ما حَرَّمه الله من الغِيبة لا يمكن تحليله، وإذا تحلَّل المال، فإنما يَصحُّ إذا كان معلوماً، وكان دَيناً أو مَنفعةَ عَينٍ استوفاها غصباً، فإنْ كانت

العين التي غصبها قائمةً، فلا يَصحُّ منها التحلُّلُ إلا بهِبةٍ وقبولٍ، وقال بعض أهل العلم: إذا اغتاب رجلاً، فإنْ بلغه، فلا بدَّ من أن يستحِله، وإن لم يبلغه، فإنه يستغفرُ الله له، ولا يخبِره.

٣٩٨٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ وَلَا مَتَاعَ لَهُ، قَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هٰذَا، وَقَذَفَ هٰذَا، وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا، وَضَرَبَ هٰذَا، فَيُقْضَى هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ».

أخرجه مسلم (٢٥٨١).

والجَلْحاء: هي التي لا قَرْنَ لها.

وقد دلَّ الحديثُ على أنَّ الخاسرَ هو مَنْ كان مصيره إلى النار، وأنَّ موازين الدنيا لا اعتبارَ لها في مقامات الناس. وفيه تصريحٌ بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها كما يعاد أهلُ التكليفِ من الآدميين، وكما يُعاد الأطفال والمجانين، ومَنْ لم تبلغه دعوةٌ، وعلى هذا تظاهرت دلائلُ القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿وإذا الوحوشُ حُشِرَت﴾ [التكوير: ٥]، وإذا ورد لفظٌ في الشرع، ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقلٌ ولا شرع، وَجَبَ حملُه على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الحشرِ والإعادة في القيامة المجازاةُ

والعقابُ والثواب، وأما القصاص من القَرْناءِ للجَلْحاءِ فليس هو من قصاص التكليف، إذْ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٨/ ٣٨٠-٣٨١.

٣٩٨٧- عن الزهريِّ، أخبرني سالم بن عبد الله عَنْ أبِيهِ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ لَمَّا مَرَّ بِالحِجْرِ قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ إلَّا أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أصابَهُمْ» قَالَ: وَتَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلى الرَّحلِ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٣٨٠)، ومسلم (٢٩٨٠).

وقال عبد الرزاق عن مَعمرٍ: ثم قنَّع رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

قولُه: «أنْ يُصيبكم» أي: حَذَراً أن يُصيبكم كقولك: لا تقرب الأسد أنْ يفترسك، أي: حذراً أن يفترسك.

٣٩٨٨- عن عبد الله بن دينارٍ أنه سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأصْحَابِ الحِجْرِ: «لَا تَدْخُلُوا عَلى هَؤلَاءِ القَوْمِ المُعَذَّبِينَ إلَّا أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أصابَهُمْ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه ابن حبان (٦٢٠٠) وفيه تمامُ تخريجه.

قال الخطابيُّ: معناه أنَّ الداخلَ في دار قومٍ أهلِكوا بخسفٍ أو عذابٍ إذا لم يكن باكياً إمَّا شفقةً عليهم، وإما خوفاً من حلول مثلِها به، كان قاسي القلب، قليلَ الخشوع، فلا يأمن إذا كان هكذا أن يصيبه ما أصابهم.

وفيه دليلٌ أنَّ ديار هؤلاء لا يُتخذ مسكناً ووطناً، لأنه لا يكون دهره باكياً أبداً، وقد نَهى أن يدخلها إلا هكذا.

٣٩٨٩- عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَلَّا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا، وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ العَجِينَ، ويُهَرِيقُوا ما اسْتَقَوْا مِنْ بِئَارِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، متفقٌ عليه، أخرجه البخاري (٢٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١).

قال مَعمرٌ عن الحسن وقتادةَ قالا: الظلم ثلاثةٌ: ظلمٌ لا يُغفر، وظلمٌ لا يُترك، وظلمٌ يُغفر، فأما الظلم الذي لا يُغفر، فالشِّرك بالله عز وجل، وأما الظلم الذي لا يُترك، فظلمُ الناس بعضهم بعضاً، وأما الظلمُ الذي يُغفر، فظلمُ العبد نفسه فيما بينه وبين ربه عزَّ وجلَّ.

قال الأعمش: ذُكِرَ عند إبراهيم الرجلُ السوءُ يُعطي المال، ويصنع المعروف؟ قال: إنه يُدفع عنه، ويُرزق به.

بابُ

البكاءِ من خشية الله تعالى

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٩]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ: رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

متفق عليه.

ولابن أبي الدنيا كتابُ «الرقة والبكاء» ولابن قدامة المقدسي وهما مطبوعان.

٣٩٩٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخِرَيْ مُسْلِمٍ أَبَداً».

هذا حديث صحيح، ورواه أحمد (١٠٥٦٠)، والترمذي (١٦٣٢)، والنسائي ٦/ ١٢، والحاكم ٤/ ٢٦٠، وفي سنده عبد الرحمن المسعودي صدوق إلا أنه اختلط قبل موته، وقد رواه النسائي ٦/ ١٢، وابن ماجه (٢٧٧٤) من طريق آخر، وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٤٦٠٧)، وله طريق ثالث بنحوه عند النسائي، وإسناده حسن، وصححه ابن حبان (٤٦٠٦)، وللترمذي (١٦٣٩) من حديث ابن عباس مرفوعاً: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» وفي سنده ضعف، وله شاهد من حديث أنس، أخرجه أبو يعلى بسند قال فيه المنذري: رجاله ثقات.

وفي الحديث «عَجِب ربكم من إلِّكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» يُروى هذا من إلِّكُمْ بكسر الهمزة، قال أبو عُبيدٍ: إني أحسِبُها من ألُكُمْ بالفتح وهو أشبه بالمصادر، ويقال: ألَّ يؤلُّ ألّا وألَلاً وأَليلاً وهو أن يرفع الرجل صوته بالدعاء والبكاء ويَجأر فيه.

بابُ

الخوف من الله عز وجل

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٢].

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يُعْطُونَ مَا أَعْطَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَ: يَخْشَوْنَ المَوْقِفَ، وَيَعْلَمُونَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الحِسَابِ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] أَيْ: أَمِنُوا فِيهِ مِنَ العَذَابِ وَالغِيَرِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً﴾ [نوح: ١٣] أَيْ: لَا تَخَافُونَ للهِ عَظَمَةً.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ٧] أَيْ: لَا يَخَافُونَ، وَكُلُّ رَاجٍ مُؤَمِّلُ مَا يَرْجُوهُ وَخَائِفٌ فَوْتَهُ، فَلِلرَّاجِي هَاتَانِ الحَالَتَانِ، فَإِذَا انْفَرَدَ بِالخَوْفِ أُتْبِعَ بِحَرْفِ النَّفْيِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١] وَالإِنْذَارُ: الإِعْلَامُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُحْذَرُ مِنْهُ، وَكُلُّ مُنْذِرٍ مُعْلِمٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُعْلِمٍ مُنْذِراً.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ مَنْ يَهُمُّ بِالمَعْصِيَةِ، فَيَذْكُرُ اللهَ فَيَتْرُكُهَا. قَالَ سُفْيَانُ: مَا فِي القُرْآنِ آيَةٌ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ ﴿لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٧١].

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي صِفَةِ الأَنْبِيَاءِ: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ﴾ [التوبة: ١١٥] وَهُوَ كَثِيرُ التَّأَوُّهِ خَوْفاً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي صِفَةِ المَلَائِكَةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهوَ شَدِيدُ المِحَالِ﴾ [الرعد: ١٤] أيْ: النِّقْمَةِ، وَقِيلَ: أيْ القُوَّةِ وَالشِّدَّةِ، وَقِيلَ: شَدِيدُ العُقُوبَةِ وَالمَكْرِ، وَقِيلَ: هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ العَرَبِ مَحَلَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ: إذَا سَعَى بِهِ إلَى السُّلْطَانِ، وَعَرَّضَهُ لِمَا يُهْلِكُهُ.

٣٩٩١- عن هَمَّام بن مُنبِّهٍ قال: حَدَّثَنَا أبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٦٣١).

٣٩٩٢- عن موسى بن أنسٍ قال: سَمِعْتُ أنَساً أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٨٦)، ومسلم (٢٣٥٩).

والمراد بالعلم هنا: ما يتعلق بعظمة الله تعالى وانتقامِه ممَّن يعصيه، والأهوال التي تَقَعُ عند النَّزْعِ والمَوْتِ وفي القبر ويومَ القيامة. وعن الحسن البصري قال: مَنْ علم أنَّ الموتَ موردُه، والقيامة موعده، والوقوف بين يدي الله تعالى مَشْهده، محقُّه أن يطولَ في الدنيا حزنه. ذكره الحافظ في «الفتح» ١١/ ٣٢٧.

٣٩٩٣- عَنْ أبِي ذَرٍّ قَالَ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنِّي أرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ. أطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أنْ تَئِطَّ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا فِيهَا أرْبَعُ أصَابِعَ إلَّا وَمَلَكٌ يمَجِّدُ اللهَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا

أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءَ عَلى الفُرُشَاتِ وَلَصَعَدْتُمْ إلى الصُعُدات تَجْأرُونَ: رَبَّنَا» قَالَ أَبُو ذرٍّ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ.

قال الترمذي: هذا حديث حسنٌ غريبٌ، وأخرجه (٢٣١٢) عن أحمد ابن مَنيعٍ، عن أبي أحمد الزُّبيريُّ، عن إسرائيل، وقال: «إلا وملكٌ واضعٌ جبهته ساجداً لله تعالى» وأخرجه أحمد (٢١٥١٦)، وآبن ماجه (٤١٩٠). وهو حديث حسن بشواهده، وانظر تمام تخريجه وشواهده في «المسند».

قوله: «أطَّت» هو من الأطيط، وهو صوتُ اضطرابِ الرَّحْلِ إذا كان عليه ثِقَل، قال السندي في حاشية «سنن ابن ماجه» ٢/٥٤٧: هذا مَثَلٌ لكثرة الملائكة وهو كلامُ تقريبٍ أُريدَ به تقريرُ عظمة الله تعالى.

و«الصُّعُدات»: بالضم: الطرقُ. وقوله: «تجأرون» أي: تستغيثون.

٣٩٩٤- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ، بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ».

أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، والحاكم ٤/٣٠٧ وفيه يزيد بن سنان وهو ضعيف، لكن له شاهد حسن عند الحاكم ٤/٣٠٨ من حديث أبي بن كعب يتقوى به.

والدُّلجةُ والدَّلجُ: سير الليل، يقال: أدلج: إذا سار آخره.

٣٩٩٥- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلِكَ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه أحمد (٣٦٦٧)، والبخاري (٦٤٨٨) وتمام تخريجه في «المسند».

وشراك النعل: هو أحدُ سيورِ النعل، ومعنى الحديث: أنَّ استحقاق كلّ من الجنة والنار يحصلُ بأدنى شيءٍ من قولٍ أو فعل لا يُبالي به صاحبُه. وقد يكون بياناً لقُرْبِ الموت الموصل لصاحب الجنة إليها، ولصاحب النار إليها.

٣٩٩٦- عن يحيى بن عُبيد الله قال: سمعت أبي يقول: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا».

أخرجه الترمذي (٢٦٠٤)، وقال: هذا حديثٌ إنما نعرفُه من حديث يحيى ابن عبيد الله، ويحيى بن عبيد الله ضعيفٌ عند أكثر أهل الحديث. وفي الباب عن أنس عند الطبراني في «الأوسط» (١٦٦٠).

٣٩٩٧- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شِبْتَ قَالَ ﷺ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالوَاقِعَةُ وَالمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».

هذا حديثٌ حسن الإسناد، أخرجه الترمذي (٣٢٩٧)، والحاكم ٢/٣٤٣.

وفي بعض الأحاديث: كان داود صلوات الله عليه إذا ذكر عقابَ الله تخلعت أوصاله، لا يشُدَّها إلا الأسْرُ أي: العصبُ والشدُّ.

قال عبد الله بن عامر بن ربيعة: رأيتُ عمر بن الخطاب أخذ تبنةً من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكن شيئاً ليتَ أمي لم تلِدني، ليتني كنتُ نسياً مَنسياً.

وقال ابن عمر: كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضعْ رأسي، قال: فوضعته على الأرض، فقال: وَيْلي وويْلُ أمي إن لم يرحمني ربي.

وقال المِسوَرُ بن مَخرَمَة: لمَّا طُعِنَ عمر قال: لو أنَّ لي طِلاعَ الأرض ذهباً، لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.

وبكى أبو هريرة في مرضه، فقيل له: ما يُبكيكَ؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعدِ سَفري وقلة زادي، وأني أمسيتُ في صعودٍ على جنةٍ أو نارٍ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي.

وقال عبد الله بن مسعود: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه جالسٌ في أصل جبلٍ يخشى أن ينقلِب عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا.

قال الحسن: ما عُبِدَ الله بمثل طول الحُزن، وقال: ما خافه إلا مؤمنٌ، ولا أمِنه إلا منافقٌ.

وقال الحسن: لقد مضى بين أيديكم أقوامٌ لو أنَّ أحدهم أنفق عدد هذا الحصى، لخشي أن لا ينجوَ من عظم ذلك اليوم.

وقال أبو أيوب الأنصاريُّ: إن الرجل ليعمل المحقِّرات حتى يأتي اللهَ وقد أحَطْنَ به، وإن الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها حتى يأتي اللهَ آمناً.

وقال أبو حازم: إن الرجل ليعمل السيئة إنْ عمِل حسنةً قطُّ أنفع له منها، وإنه ليعمل الحسنة إن عمل سيئةً قطُّ أضرَّ عليه منها.

وكان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجلٌ: لِمَ تقنِّط الناس؟ قال: وأنا أقْدِر أن أقنِّط النَّاسَ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يا عِبادِيَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر: ٥٣] ويقول: ﴿وأن المسرفين هم

أصحاب النار﴾ [غافر: ٤٣] ولكنَّكم تحِبُّون أن تبشّروا بالجنة على مساوىء أعمالكم، وإنما بَعث الله تعالى محمداً ﷺ مبشِّراً بالجنة لمن أطاعه، ومُنذِراً بالنار لمن عصاه.

بابُ

الرجاءِ وَسَعةِ رحمةِ الله عز وجل

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ [غافر:٧] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَإِنْ عُصِيتُ، فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ».

وهو في «صحيح مسلم» (٢٨٧٧).

وَقَالَ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».

أخرجه الشيخان.

٣٩٩٨- عن همّام بن مُنبّهٍ قال: حدثنا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ كِتَاباً فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته.

قوله: «لمَّا قضى الله الخَلْقَ» أي: خلقهم، كقوله سبحانه وتعالى ﴿فقضاهنَّ سَبع سماواتٍ﴾ [فصلت: ١٢] أي: خلقهنَّ.

٣٩٩٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ كِتَاباً، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحَّتِه، أخرجه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

قال أبو سليمان الخطابي في معنى الحديث: القول فيه - والله أعلم - أنه أراد بالكتاب أحد شيئين، إما القضاء الذي قضاه وأوجبه، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿كتب اللهُ لأغلبنَّ أنا ورُسلي﴾ [المجادلة: ٢١] أي: قضى الله، ويكون معنى قوله: «فهو عنده فوق العرش» أي: فعِلمُ ذلك عند الله فوق العرش لا ينساه ولا ينسخه ولا يُبدِّله، كقوله عز وجل: ﴿ قال عِلْمها عند ربي في كتابٍ لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢] وإما أن يكون أراد بالكتاب: اللوحَ المحفوظَ الذي فيه ذِكرُ الخلق، وبيانُ أمورهم، وذِكرُ آجالهم وأرزاقهم، والأقضيةِ النافذة فيهم، ومآل عواقب أمورهم.

ومعنى قوله: «فهو عنده» أي: فذكرُه عنده فوق العرش.

قال الإمام البغوي: الأوْلى فيه بالمرء وفي أمثالها إمرارُها على ظاهرها كما جاء من غير أن يتصرَّف فيها. وهو الذي فاءَ إليه الخطابي رحمه الله كما ذكره ابن رجب في «فتح الباري» ٧/ ٢٣٣.

٤٠٠٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ، وَاحِدَةٌ بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا يَتَعَاطَفُ الوُحُوشُ عَلى أَوْلَادِهَا، وَأَخَّرَ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

هذا حديث متفق على صحته، أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

وفي الحديث: بشارةٌ عظيمةٌ للمسلمين، لأنه إذا حصل للإنسان من رحمةٍ واحدةٍ في هذه الدار المبنية على الأكدار - بالإسلام والقرآن والصلاة وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به عليه، فكيف الظنُّ بمئة رحمةٍ في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء.

٤٠٠١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، وَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤٦٩).

وفحوى الحديث: أنَّ المكلَّفَ ينبغي له أن يكون بين الرجاء والخوف، حتى لا يكون مُفْرِطاً في الرجاءِ بحيث يصير من المرجئة القائلين: لا يضرُّ مع الإيمان شيءٌ. ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحبه الكبيرة إذا مات عن غير توبةٍ في النار، بل يكون وسطاً بينهما كما قال تعالى: ﴿يرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧] ومن تتبَّع دينَ الإسلام وجد قواعده أصولاً وفروعاً كلها في جانب الوسط. أفاده الحافظ في «الفتح» ١١/ ٣٠٩.

٤٠٠٢- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيّاً فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا، وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرَوْنَ هٰذِهِ

طَارِحَةٌ وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلى أنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «اللهُ أرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هٰذِهِ بِوَلَدِهَا».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

٤٠٠٣- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أصَابَ فِي الدُّنْيَا ذَنْباً، فَعُوقِبَ بِهِ، فَاللهُ أعْدَلُ مِنْ أنْ يُثَنِّيَ عُقُوبَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ، وَمَنْ أذْنَبَ ذَنْباً، فَسَتَرَهُ اللهُ، فَاللهُ أكْرَمُ مِنْ أنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ».

إسناده حسن، أخرجه أحمد (٧٧٥)، وابن ماجه (٢٦٠٤)، والترمذي (٢٦٢٦) وتمام تخريجه في «المسند».

٤٠٠٤- عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ قَطُّ خَيْراً لِأهْلِهِ: إذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ، لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لَا يُعَذِّبُهُ أحَداً مِنَ العَالَمِينَ، قَالَ: فَلَما مَاتَ، فَعَلُوا مَا أمَرَهُمْ، فَأمَرَ اللهُ البَحْرَ، فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وأَمَرَ البَرَّ، فَجَمَعَ ما فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ هٰذَا، فَقَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ وَأنْتَ أعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٤٨١)، وأخرجه مسلم (٢٧٥٦) عن محمد بن مرزوق، عن روح، كلاهما عن مالك، وفي رواية: «لم يبتئر خيراً قطُّ» يعني: لم يقدِّم خيراً، ولم يَدَّخر، يقال: بأرت الشيء وابتأرتُه: إذا خبأته وادَّخرته.

ورواه أبو سعيد الخدري، عن النبي ﷺ «أنَّ رجلاً كان قبلكم رَغسهُ الله مالاً، فقال لبنيه لما حُضِر». أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٧).

قوله: رَغَسَهُ، أي: أكثر له منه، وبارك له فيه، ورجلٌ مرغوسٌ، أي: كثير الخير، ورواه حذيفة وعُقبة بن عمرٍو وقال: كان نبّاشاً.

٤٠٠٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ قَالَ: «أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ، أَوْصَى بَنِيهِ، فَقَالَ: إِذَا مِتُّ، فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي البَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذاباً مَا عَذَّبَهُ أَحَداً، فَقَالَ: فَفَعَلُوا بِهِ ذلِكَ، فَقَالَ اللهُ لِلأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ، أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ بِذلِكَ» قَالَ - أي الزهري -: وَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ» قَالَ الزُّهْرِيُّ: ذلِكَ لِئَلَّا يَتَّكِلَ أَحَدٌ، وَلَا يَيْأَسَ أَحَدٌ.

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٣٤٨١، ٣٤٨٢)، ومسلم (٢٧٥٦) (٢٥).

قيل في قوله: «لئن قدرَ علي ربي» معناه: قدَّر بالتشديد من التقدير لا من القدرة، ومثله قوله سبحانه وتعالى في قصة يونس: ﴿فظنَّ أن لن نَقْدِرَ عليه﴾ [الأنبياء: ٨٧] قيل: هو من التقدير، أي: لن نقدِّر عليه بلاءً وعقوبةً، وهو ما قدَّر من كونه في بطن الحوت، يقال: قدَر وقدَّر بمعنى واحد، وليس من القدرة، وقيل: معناه: فظنَّ أن لن نضيِّق عليه من قوله سبحانه وتعالى: ﴿فقدَر عليه رزقه﴾ [الفجر: ١٦] أي: فضيَّق.

وفي بعض الروايات: «فاذروني في الريح فلعلي أضِلُّ الله فلعلي أفوته» يقال: ضَلَّ الشيءُ: إذا فات، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿في كتابٍ لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢] أي: لا يفوته، وقيل: معناه لعلَّ موضعي يخفى عليه.

فإن قيل: كيف غفر له وهو منكِرٌ للبعث؟ قلنا: لم يكن منكراً للبعث ولكن كان يفعله من خَشْيةِ البعث، ولكنه كان جاهلاً ظنَّ أنه إذا فعل ذلك، تُرِك، فلم يُنشر، ولم يُعذَّب، أو ظنَّ أنَّ هذه الحيلة تُنجيه مما يخافه. وانظر بَسْطَ الكلام عليه في «شرح مسلم» للنووي ٩/ ٨٥.

و«خَشاشُ الأرض»: دوابُّها وهي الحشراتُ. وقد دلَّ الحديثان على عظيم فقه الإمام الزهري فإنه لما ذكر الحديث الأول خاف أن يتكل سامعُه على ما فيه من سَعَةِ الرحمة، وعِظَم الرجاء، فضمَّ إليه حديث الهرة الذي فيه التخويف ضد ذلك؛ ليجتمع الخوفُ والرجاء في قلب العبد.

٤٠٠٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَاناً، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِباً فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: أَلَهُ تَوْبَةٌ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، وَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ العَذَابِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هٰذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى إِلَى هٰذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هٰذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

وفي الحديث دليلٌ على صحَّة توبة القاتل، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يمنع من ذلك زَجْراً عن القتل، والجمهور على خلافه.

وفيه: استحبابُ مفارقة التائب للمواضع التي أصابَ فيها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على ذلك، وأن يستبدل بهم صحبةَ أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين ومَنْ يُقْتدى بهم. أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٩٧.

٤٠٠٧- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً وَلَا يُبَالِي».

أخرجه الترمذي (٣٢٣٧) وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي.

٤٠٠٨- عن ضَمْضَم بْن جَوْسٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ المَدِينَةِ، فَنَادَانِي شَيْخٌ، فَقَالَ: يَا يَمامِيُّ تَعَالَ وَمَا أَعْرِفُهُ، فَقَالَ: لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَبَداً، وَلَا يُدْخِلُكَ اللهُ الجَنَّةَ، قُلْتُ: وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ هٰذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذَا غَضِبَ، أَوْ لِزَوْجَتِهِ، أَوْ لِخَادِمِهِ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابَّيْنِ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي العِبَادَةِ، وَالآخَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُولُ خَلِّنِي وَرَبِّي، قَالَ: حَتَّى وَجَدَهُ يَوْماً عَلى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيْنَا رَقِيباً؟! فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَبَداً،

وَلَا يُدْخِلُكَ اللهُ الجَنَّةَ أبَداً، قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ إلَيْهِمَا مَلَكاً، فَقَبَضَ أرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلمُذْنِبِ: ادْخُلِ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: أتَسْتَطِيعُ أنْ تَحْظُرَ عَلى عَبْدِي رَحْمَتِي، فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إلَى النَّارِ، قَالَ أبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

هذا حديثٌ حسنُ الإسناد، غريبُ المَتْنِ، أخرجه أحمد (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١)، وابن حبان (٥٧١٢) وتمام تخريجه في «المسند».

قوله: «أقْصِر» من الإقصار وهو: الكَفُّ عن السَّعْيِ مع القدرة عليه.

٤٠٠٩- عَنْ جُنْدَبٍ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ أنَّ رَجُلاً قَالَ: «وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنِّي لَا أغْفِرُ لِفُلَانٍ، فَإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أوْ كَمَا قَالَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٦٢١).

الحديث: دليلٌ لأهل السنة في غفران الذنوب بلا توبةٍ إذا شاء الله غفرانها. واحتجت به المعتزلة في إحباطِ الأعمال بالمعاصي الكبائر. ومذهبُ أهل السنة أنها لا تحبط إلَّا بالكفرِ، ويُتأوَّل حبوطِ عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته. أفاده النووي في «شرح صحيح مسلم» ٨/ ٤٢٢.

٤٠١٠- عَنْ أبِي الدَّرْدَاءِ أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُصُّ عَلى المِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] قُلْتُ: وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الثَّانِيَةَ:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فَقُلْتُ الثَّانِيَةَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الثَّالِثَةَ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فَقُلْتُ الثَّالِثَةَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ».

إسناده صحيحٌ، أخرجه أحمد (٨٦٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٦٠)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٣٩٩٣). وتمامُ تخريجه في «المسند».

قال الطحاوي: تأملنا هذا الحديثَ لنقفَ على المراد به إنْ شاءَ الله، فوجدنا خَوْفَ مقامِ الربِ عزَّ وجلَّ مرتبةً جليلة، ووجدنا ثوابها عنده عزَّ وجلَّ ثواباً عظيماً، ووجدناها تمنع من صغير معاصي الله عزَّ وجلَّ وكبيرها، وكما روي عن مجاهدٍ في قول الله عز وجل: ﴿ولمن خاف مقام ربّه جنتان﴾ قال: إذا همَّ بمعصية، فذكر مقام الله عزَّ وجل عليه في الدنيا فتركها.

٤٠١١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِه: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا»

إسناده صحيح، أخرجه الترمذي (٣٢٨٠) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق.

قوله: «جمّاً» أي: كثيراً، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وتحبّون المال حُبّاً جمّاً﴾ [الفجر: ١٩] أي: كثيراً، قوله: «لا ألمّا» أي: لم يُلمَّ بمعصيةٍ، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إلا اللَّمم﴾ وهو أن يُلمَّ بذنبٍ ثم لا يُعاوده، و«لا» مع الماضي بمنزلة «لمْ» مع المستقبل. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾

[البلد: ١١] أي: لم يقتحم. وقال طاوُوسٌ عن ابن عمر: إن ابن آدم خُلِقَ خطَّاءً إلا ما رحمَ الله.

٤٠١٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «مَنْ عَلِمَ أنّي ذُو قدْرَةٍ عَلى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي مَا لَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئاً».

في إسناده إبراهيم بن الحكم ضعيف، وأبوه وإن كان صدوقاً له أوهام، وأخرجه الحاكم ٢٦٢/٤ من طريق حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: العدني واه.

وروي أنَّ حمادَ بنَ سلمةَ عاد سفيان الثوري، فقال له: يا أبا سلمة أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حمَّاد: والله لو خيِّرْتُ بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبويَّ، لاخترتُ محاسبة الله على محاسبة أبويَّ، وذلك أنَّ الله أرحم بي من أبويّ.

بابُ

القَصْدِ في العمل والعلم بأن لا نجاة إلا برحمة الله تعالى

٤٠١٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

«الدُّلَجَة»: بضم الدال وسكون اللام ويجوز فتحها: سَيْرُ الليل. وفيه: إشارةٌ إلى الحثِّ على الرفقِ في العبادة.

واستدلَّ أهلُ السنة بهذا الحديثِ وأشباهه على أنه لا يثبت بالعقل ثوابٌ ولا عقابٌ ولا إيجابٌ ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلُّها ولا غيرها إلّا بالشرع. ومذهبُ أهلِ السنة أيضاً: أنَّ الله تعالى لا يجبُ عليه شيءٌ، بل العالَمُ مُلْكُه، والدنيا والآخرةُ في سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذَّب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عَدْلًا منه، وإذا أكرمهم ونعَّمهم وأدخلهم الجنة فهو فَضْلٌ منه. ولو نعَّم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صِدْقٌ: أنه لا يفعل ذلك، بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته، ويعذب المنافقين والكافرين ويخلدهم في النارِ عَدْلًا منه.

وقد دلَّ ظاهرُ الحديث على أنه لا يستحقُّ أحدٌ الثوابَ والجنة بطاعته. وأما قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل: ٣٢] ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمالَ يُدخَلُ بها الجنة، فلا يعارضُ بها الحديث، والمعنى: أنَّ دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمالِ والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمةِ الله تعالى وفضله، فيصحُّ أنه لم يدخل بمجرد العمل، أفاده النووي في «شرح مسلم» ٩/ ١٧٧.

٤٠١٤- عن همَّام بن مُنبِّه قال: حدثنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ».

هذا حديث متفق على صحته.

٤٠١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ».

هذا حديث متفق على صحته.

قوله: «سدِّدوا» أي: اقصِدوا السَّداد وهو الصواب، والمقاربة: القصد في الأمر الذي لا غُلَوَّ فيه ولا تقصير، وقيل: قاربوا، أي: لا تعجلوا. وقوله: «إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ» أي: يسترني بها، مأخوذ من غِمدِ السيف لأنك إذا غمدته، فقد سترته.

قال عميرٌ: مَن أدركتُ من أصحاب النبي ﷺ أكثر من سبعين، فما رأيتُ قوماً أهونَ سيرةً ولا أقلّ تشديداً منهم.

قال إبراهيم: إذا بلغك في الإسلام أمران، فخذ أيسرهما.

وقال الشعبيُّ: إذا اختُلِفَ عليك في أمرين، فخذ أيسرهما، فإن أيسرَهما أقربُهما من الحقِّ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يريد الله بكم اليُسر، ولا يريد بكم العُسر﴾ [البقرة: ١٨٥].

بابُ

تَغَيُّرِ الناس وذهاب الصالحين

٤٠١٦- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «النَّاسُ كَالإِبِلِ المَئِةِ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجه البخاري (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٧).

الراحلة: التي يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وحُسن المنظر، وقد تقع على الناقة النجيبة، والجمل النجيب، والهاء فيه للمبالغة وهي «فاعلةٌ» جاءت بمعنى «مفعولةٍ»، والعرب تقول للمئة من الإبل: الإبل، تقول: لفلانٍ إبلٌ، أي: مئةٌ منها، وإبلانِ إذا كانت مئتان، يقول: إنَّ الناس كمئةٍ من الإبل حمولةٍ لا تجد فيها ذلولًا تصلح للركوب، وأراد به أنه يقلُّ الزاهد في الدنيا والراغب في الآخرة، فيكون رغبةُ أكثرهم في الدنيا والمنافسة فيها كأنه يقول: لا تواخِ منهم إلا أهلَ الفضل، وعددهم قليل بمنزلة الراحلة في الإبل الحمولة.

٤٠١٧- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً شِبْراً، وَذِرَاعاً ذِرَاعاً حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟!».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

قوله: «السَّنَن» بفتح السين والنون، هو الطريق. والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب شدة الموافقة لهم. وهي موافقةٌ في المعاصي والمخالفات لا في الكفر. وفي هذا معجزةٌ ظاهرةٌ لرسولِ الله ﷺ. فقد وقع ما أخبر به منذ زمن طويل.

٤٠١٨- عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحونَ الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أوِ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاري (٦٤٣٤).

حُفالةُ التمر: رُذالتُه، ومثلُها الحثالة، والفاء والثاء يتعاقبان، كقولهم ثومٌ وفومٌ، وجَدثٌ وجَدفٌ.

وقوله: «لا يباليهم الله بالةً» أي: لا يرفع لهم قدْراً، ولا يُقيم لهم وزناً، يقال: باليتُ بالشيء مبالاةً وباليةً وبالةً، يقال: ليس هذا من بالي، أي: مما أباليه.

وفي الحديثِ من الفقه: أنَّ موتَ الصالحين من أشراطِ الساعة.

وفيه: الندبُ إلى الاقتداءِ بأهل الخير، والتحذيرُ من مخالفتهم خشيةَ أن يصيرَ مَنْ خالفهم ممَّن لا يعبأُ الله به.

وفيه: أنه يجوز انقراضُ أهلِ الخيرِ في آخر الزمان حتى لا يبقى إلا أهل الشرِّ. أفاده الحافظ في «الفتح» ١١/ ٢٥٧.

٤٠١٩- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا أَعْرِفُ مِنْكُمْ شَيْئاً كُنْتُ أَعْهَدُهُ عَلى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ لَيْسَ قَوْلَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قُلْنَا: يَا أَبَا حَمْزَةَ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَ: قَدْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَفَكَانَتْ تِلْكَ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟! ثُمَّ قَالَ: عَلى أَنِّي لَمْ أَرَ زَمَاناً خَيْراً لِلْعَامِلِ مِنْ زَمَانِكُمْ هٰذَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَمَانٌ مَعَ نَبِيٍّ.

أخرجه أحمد (١٣٨٦١) بإسناد صحيح، وتمام تخريجه فيه.

٤٠٢٠- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطِيَاءَ، وَخَدَمَتْهُمْ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ أَبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ سَلَّطَ اللهُ شِرَارَهَا عَلى خِيَارِهَا».

هٰذا حديث غريب. أخرجه الترمذي (٢٢٦١) بسندٍ ضعيف، ولكن رواه من طريق آخر بسندٍ صحيح، وله شاهدٌ عند الطبراني في «الأوسط» (١٣٢) و(٣٥٨٧) من حديث أبي هريرة، وسنده حسن.

والمطيطياء: مِشيةٌ فيها تبخترٌ ومدُّ يدين، والتمطي من ذلك، لأنه إذا تمطَّى مدَّ يديه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطَّى﴾ [القيامة: ٣٣] أي: يتبختر.

قال سعيد بن المسيِّب: ثارت الفتنة الأولى، فلم يبقَ ممن شهِد بدراً أحدٌ، ثم كانت الثانية، فلم يبق ممن شهد الحديبية أحدٌ، قال: وأظنُّ لو كانت الثالثةُ لم ترتفع وفي الناس طباخٌ. أراد بالفتنة الأولى: مقتل عثمان، وبالثانية: الحَرَّةَ. وقوله: طباخٌ، أي: خير ونفع، يقال: فلان لا طباخ له، أي: لا عقل له.

قال مِسْوَرُ بن مخرَمَة: لقد وارت الأرض أقواماً لو رأوني جالساً معكم، لاستحييتُ منهم.

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لإنسانٍ: إنك في زمانٍ قليلٍ قرَّاؤه، كثيرٍ فقهاؤه، تحفظُ فيه حدود القرآن، وتُضيَّعُ حروفه، قليلٌ مَن يسأل، كثيرٌ من يُعطي، يُطيلون فيه الصلاة، ويقصرون فيه الخُطبة، يبدؤون فيه بأعمالهم قبل أهوائهم، وسيأتي على الناس زمانٌ كثيرٌ قراؤه، قليلٌ فقهاؤه، تُحفظ فيه حروف القرآن، وتُضيَّعُ حدوده، كثيرٌ من يسأل، قليل من يعطي، يُطيلون فيه الخطبةَ، ويقصرون الصلاة، يبدؤون بأهوائهم قبل أعمالهم.

وقال أبو الدرداء: إن الناس كانوا وَرقاً لا شوك فيه، فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه.

بابُ

خَوْفِ الهلاك إذا كثر الخَبَث

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٥- ٤٧] أيْ: تَنَقُّصٍ. قَالَ الأَزْهَرِيُّ: مَعْنَى التَّنَقُّصِ: أَنْ يَتَنَقَّصَهُمْ فِي أَبْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَثِمَارِهِمْ، يُقَالُ: تَخَوَّفَهُ الدَّهْرُ: إِذَا انْتَقَصَهُ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ [إبراهيم: ٥]. قَالَ الأَزْهَرِيُّ: أَيَّامُ اللهِ: نِقَمُهُ الَّتِي انْتَقَمَ بِهَا مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بِنِعَمِ اللهِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ أَنْجَاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الغَمَامَ.

٤٠٢١- عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوماً فَزِعاً يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ: فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هٰذِهِ» وَحَلَّقَ بِأُصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

قوله: «إذا كثُر الخُبث»، أي: الفسق والفجور.

وروى هذا الحديث الحُميديُّ وعليُّ ابن المدينيُّ وغيرُ واحدٍ من الحفاظ عن سفيان بن عيينةَ، وقالوا فيه: عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة، عن

أم حبيبة، عن زينب بنت جحشٍ. وقال سفيان: حفظتُ من الزهريِّ في هذا الحديث أربع نسوةٍ زينب بنت أبي سلمة، وحبيبةَ بنتَ جحش وزوجتي النبي ﷺ. وروى بعض أصحاب ابن عيينة هذا الحديث، ولم يذكروا فيه حبيبة، وكذلك رواه مَعمرٌ عن الزهريّ.

٤٠٢٢- عَنْ أنسٍ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ.

هذا حديثٌ صحيح، أخرجه البخاري (٦٤٩٢).

قال مالكٌ: إني لأكره المقام بالبلدة التي يُعصى الله فيها علانيةً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ألمْ تكُنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتهاجروا فيها﴾ [النساء: ٩٦].

٤٠٢٣- عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَثَلُ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَ هٰذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ هٰذَا بِعُودٍ، وَجَاء هٰذَا بِعُودٍ، فَاطَّبَخُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ لَمُوبِقَاتٌ».

أخرجه أحمد (٢٢٨٠٨)، وإسناده صحيح، وحسنه الحافظ في «الفتح» ٢٨٣/١١، وله شاهد من حديث ابن مسعود عند أحمد (٣٨١٨)، وجود إسناده الحافظ العراقي، وآخر من حديث عائشة عند أحمد (٢٤٤١٥)، والدارمي ٣٠٣/٢، وابن ماجه (٤٢٤٣) بلفظ: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله عز وجل طالباً»، وصححه ابن حبان (٥٥٦٨).

ومعنى الحديث: أن اعتياد مقارفة الصغائر قد يفضي إلى ارتكاب الكبائر، فإن مَنْ حام حول الحِمى يوشك أن يَقَعَ فيه.

باب

إذا هلكوا بالعذاب بعثوا على نياتهم

٤٠٢٤- عن ابْن عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلى أَعْمَالِهِمْ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٧١٠٨)، ومسلم (٢٨٧٩).

٤٠٢٥- عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم قال: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَغْزُوا جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلى نِيَّاتِهِمْ».

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٣).

ورواه عبد الله بن الزبير عن عائشة عن رسول الله ﷺ وقال: «يَهلِكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتّى، يبعثهم الله على نيَّاتهم»، أخرجه مسلم (٢٨٨٤).

البيداء: مفازةٌ لا شيء بها، وبين المسجدين أرضٌ ملساء اسمها البيداء.

وقال النووي في «شرح مسلم» ٩/ ٢٣٤: في هذا الحديث من الفقه: التباعدُ من أهل الظلم، والتحذير من مجالستهم ومجالسةِ البغاةِ ونحوِهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبون به.

وفيه: أنَّ مَنْ كثَّر سوادَ قومٍ جرى عليه حكمُهم في ظاهر عقوبات الدنيا.

٤٠٢٦- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلى شَيْءٍ، بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْهِ».

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

٤٠٢٧- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، المُؤْمِنُ عَلى إيمَانِهِ، وَالكَافِرُ عَلى كُفْرِهِ».

أخرجه مسلم (٢٨٧٨) دون قوله: «المؤمن على إيمانه والكافر على كفره».

بابُ

فتنة الشيطان

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٦] وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢] أيْ: قَرَّبَهُمَا إلَى المَعْصِيَةِ بِغُرُورِهِ، وَقِيلَ: دَلَّاهُمَا مِنَ الجَنَّةِ إلَى الأرْضِ، وَقِيلَ: فَأَطْعَمَهُمَا، وَقِيلَ: فَجَرَّأَهُمَا، وَالأصْلُ: دَلَّلَهُمَا مِنَ الدَّلِّ، وَهُوَ الجُرْأةُ.

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ إخْبَاراً عَنْ إبْلِيسَ: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ [النساء: ١١٨].

قَالَ الحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ: أيْ: دِينَ اللهِ، يَعْنِي حُكْمَ اللهِ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ [الإسراء: ٦٢] أيْ: لأَقْتَادَنَّهُمْ إلَى طَاعَتِي، يُقَالُ: احْتَنَكَ

دَابَّتَهُ: إِذَا قَادَهَا، وَقِيلَ: لأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ بِالإِغْوَاءِ، يُقَالُ: احْتَنَكَ البَعِيرُ الصِّلِّيَانَةَ: إِذَا اقْتَلَعَهَا مِنْ أَصْلِهَا.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ [الإسراء: ٦٤] أَيْ: اسْتَدْعِهِمْ اسْتِدْعَاءً تَسْتَخِفُّهُمْ بِهِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ خَيْلَهُ كُلُّ رَاكِبٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَرَجْلَهُ: كُلُّ مَاشٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ.

قراءة الجمهور ﴿ورَجْلِكَ﴾، وقرأ حفص عن عاصم بكسر الجيم. «كتاب السبعة»: ٣٨٢، ٣٨٣، لابن مجاهد.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦١]. قَوْلُهُ: أَرَأَيْتَكَ وَأَرَأَيْتَكُمْ: مَعْنَاهُ الاسْتِخْبَارُ تَقُولُ: أَخْبِرُونِي، تَقُولُ: وَأَرَأَيْتَكُمْ مَفْتُوحَةَ التَّاءِ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، فَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى الرُّؤْيَةِ قُلْتَ: أَرَأَيْتُ وَأَرَأَيْتُمَا وَأَرَأَيْتُمْ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ١٦٩] أَيْ: بِمَا يَسُوؤُكُمْ عَوَاقِبُهُ فِي مُنْقَلَبِكُمْ.

قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أَيْ: اسْتَنْفَعَ، وَاسْتِمْتَاعُ الإِنْسِ بِالجِنِّ: اسْتِعَاذَتُهُمْ بِهِمْ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا سَافَرَ، فَنَزَلَ وَادِياً قَالَ: أَعُوذُ بِرَبِّ الوَادِي، وَاسْتِمْتَاعُ الجِنِّ بِالإِنْسِ تَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُمْ حَيْثُ يَسْتَعِيذُونَ بِهِمْ، قَالَهُ الأَزْهَرِيُّ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] يَعْنِي: مَسَالِكَهُ وَمَذَاهِبَهُ، أَيْ: لَا تَسْلُكُوا الطُّرُقَ الَّتِي يَدْعُوكُمْ

إِلَيْهَا الشَّيْطَانُ، وَوَاحِدُ الخُطُوَاتِ: خُطْوَةٌ، وَهِيَ مَا بَيْنَ القَدَمَيْنِ، وَالخَطْوَةُ - بِالفَتْحِ - المَصْدَرُ، يُقَالُ: خَطَوْتُ خَطْوَةً، وَجَمْعُهَا خَطَوَاتٌ.

٤٠٢٨- عن الزهريِّ، أخبرني عليُّ بن الحسين: أنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي المَسْجِدِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، وَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيْتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئاً».

هذا حديثٌ متفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

الشيطان من الشَّطْنِ: وهو البُعْدُ، ويقال للحبل الطويل: شطنٌ، سمي به لبُعده من الخير، وطوله في الشرّ، وقيل في قوله: «يبلغ مبلغ الدم»، ويروى: «يجري مجرى الدم»: أراد به: أنه يتسلط عليه، لا أن يدخل جَوْفه، وهو مثل.

وفي الحديث: استحبابُ التحرُّز عن مظانِّ السوء، وطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة.

ويُحكى عن الشافعيِّ رضي الله عنه في معنى الحديث أنَّ النبي ﷺ خاف على الرجلين الكُفرَ، إذ لو وقع في قلوبهما ريبةٌ في أمره، لَكَفرا به، فابتدر إليهما بتلك الكلمة شفقة عليهما. والله أعلم.

٤٠٢٩- عن سعيد بن المسيِّب قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَم وَابْنِهَا» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

هذا حديثٌ متَّفقٌ على صِحَّته، أخرجه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦).

وروى سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صياح المولود حين يقع نزغةٌ من الشيطان» أخرجه مسلم (٢٣٦٧).

وفي الحديث فضيلةٌ لعيسى ابن مريم وأمِّه عليهما السلام، وظاهرُ الحديث اختصاصهما بذلك، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها.

٤٠٣٠- عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ المُجَاشِعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مِمَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هٰذَا، وَإِنَّهُ قَالَ: وَإِنَّ كُلَّ مَا لِي نَحَلْتُهُ عِبَادِي، فَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، فَأَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سلْطَاناً، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشاً، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ إِنَّهُمْ إِذاً يَثْلَغُوا رَأْسِي حَتَّى يَدَعُوهُ خُبْزَةً فَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَاباً لَا يَغْسِلُهُ المَاءُ تَقْرَؤُهُ فِي المَنَامِ وَاليَقَظَةِ، فَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ نُنْفِقْ

عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشاً نُمْدِدْكَ بِخَمْسَةِ أَمْثَالِهِمْ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، ثُمَّ قَالَ: أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: إِمَامٌ مُقْسِطٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ غَنِيٌّ عَفِيفٌ مُتَصَدِّقٌ، وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعٌ لَا يَبْتَغُونَ بِذَلِكَ أَهْلاً وَلَا مَالاً، وَرَجُلٌ لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا ذَهَبَ بِهِ، وَالشِّنْظِيرُ الفَاحِشُ» وَذَكَرَ البُخْلَ والكَذِبَ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

قوله: «حُنفاء» جمع حنيف من الحَنَف، والحَنَفُ: إقبال إحدى القدمين على الأخرى، فالحنيف: الصحيحُ الميل إلى الإسلام، الثابت عليه، وقيل: الحَنَفُ: الاستقامة، وقيل للمائل الرِّجل: أحنفُ تفاؤلاً بالاستقامة.

وقوله: «فاجتالتهم» أي: استخفتهم فجالوا معهم، يقال: اجتال الرجل الشيءَ: إذا ذهب به وساقه، والمقتُ أشدُّ البغض. وقوله: «يثلغوا رأسي» أي: يشدخوه كما تُشدخُ الخبزة.

وقوله: «أنزَلْتُ عليك كتاباً لا يغسله الماء» أي: لا ينمحي أبداً، بل هو محفوظٌ في صدور الذين أوتوا العلم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقوله: «تقرؤه في المنام واليقظة»، أي: تجمعه حفظاً وأنت نائم، كما تجمعه وأنت يقظان، وقيل: معناه: تقرؤه في يُسرٍ وسهولةٍ ظاهراً، يقال للرجل إذا كان قادراً على الشيء: هو يفعله نائماً، كما يقال: هو يسبقه قاعداً، والقاعد لا سبق له.

وقوله: «لا زَبْرَ له» أي: لا عقل له. والشِّنظير: السَّيِّء الخُلق.

٤٠٣١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمُ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم (٢٨١٤).

وقال سفيان عن منصور: وكل به قرينه من الجنّ، وقرينه من الملائكة.

قال سفيان بن عُيينة في تفسير قوله: «فأسْلمُ» بمعناه: أسْلمُ أنا منه، والشيطان لا يُسْلِمُ، وقيل: أسْلَمَ أي: استسلم يقول ذَلَّ. وهو الذي رَجَّحه القاضي عياض واختاره النووي لقوله: «فلا يأمرني إلّا بخير» والأمةُ مجمعةٌ على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جِسْمه وخاطره ولسانه.

وفي الحديث من الفقه: التحذيرُ من فتنة القرين ووسوسته وإغرائه.

٤٠٣٢- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ» قَالَ الأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ.

هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم (٢٨١٣).

والعرشُ هنا: سريرُ الملك، ومعناه: أنَّ مركزه البحر. وقوله: «فيدنيه منه» يعني إعجاباً بصنيعه وبلوغه الغاية التي أرادها. فيلتزمه، أي: يضمه إلى نَفْسِه ويعانقه.

باب

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

٤٠٣٣- عن عبد الوهاب بن الورد عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أَنْ اكْتُبِي إِلَيَّ بِكِتَابٍ تُوصِينَنِي فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَأَنْسَى، فَكَتَبَتْ: مِنْ عَائِشَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاه اللهُ مَؤونَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ سَخَطَ اللهِ بِرِضَا النَّاسِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ» وَالسَّلَامُ.

أخرجه الترمذي (٢٤١٣) وفيه رجلٌ لم يُسَمَّ. وروى ابن حبان في «صحيحه» (٢٧٦) المرفوع منه فقط، وسنده حسن وفيه تمامُ تخريجه.

٤٠٣٤- عَنْ أَبِي غَسَّانَ مُحَمَّد بْنِ مُطَرِّفٍ المَدِينِيِّ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ بِحدِيثٍ سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَعَلِّي أَعْمَل بِهِ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَائِشَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ العِبَادِ، كَفَاهُ اللهُ مَؤونَتَهُمْ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللهَ بِرِضَا العِبَادِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَيْهِم».

في سنده انقطاع، ويشهد له ما قبله.